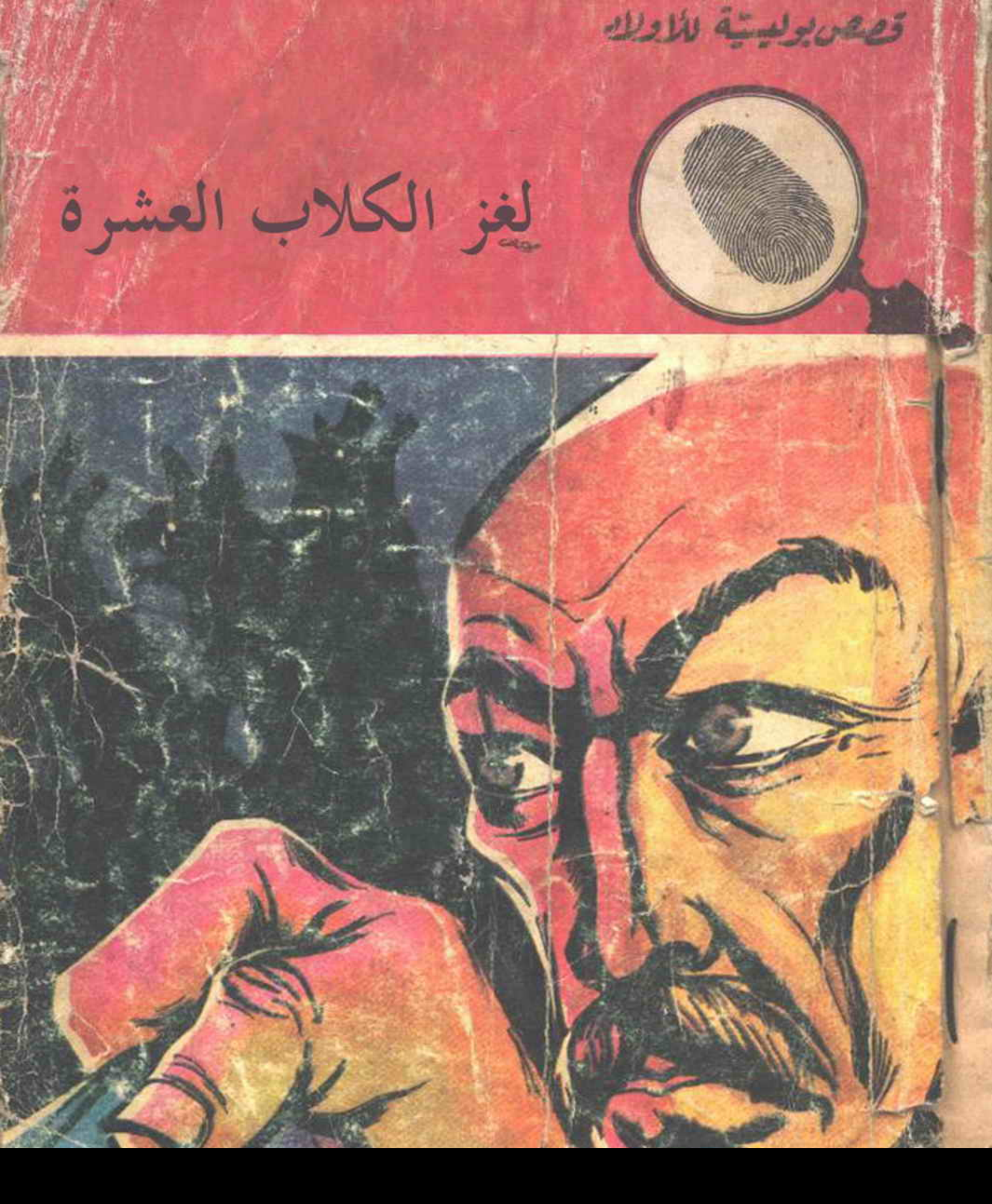

قصص بوليسية للأولاد
لغز الكلاب العشرة

قافلة الحمير !

اجتمع المغامرون الثلاثة : «عامر» و«عارف» و«عالية» فى الشاليه الجميل ، الذى كانوا سيقضون فيه بعض الوقت خلال أجازتهم السنوية .

وكان يرافقهم كالعادة «سمارة» صديقهم الوفى . وكلب الحراسة الأمين «زوبيلى» . أما الببغاء اللطيفة «زاهية» ، فقد رأوا من الحكمة أن يتركوها وراءهم ، لترعى ببغاءها الصغير الذى أنجبته حديثاً من زوجها الببغاء الهندى «جابو» !

ويستأجر خالهم العقيد «ممدوح» هذا الشاليه الصغير ، الذى يمتاز بقربه من مدينة السويس ، مقر عمله . ويرفض

هذا «الشاليه» فى سفح جبل «عتاقة» ، هذا الجبل الأشم بقممه الصخرية العالية ، ودروبه ومتاهاته ومغاراته وأوديته ، كما يقع على مسافة قصيرة من شاطئ خليج السويس .

وقد استأجره العقيد «ممدوح» ليقضى فيه أوقات فراغه ، وعندما يكون منهمكاً فى عمله فى سلاح الحدود .

وقد رأى «ممدوح» بمناسبة الأجازة السنوية ، أن يستضيف أولاد أخته المغامرين الثلاثة . ومعهم «سمارة» الذى لا يفارقهم لحظة .

وكان الوالدان يعارضان بشدة فى هذه الاستضافة . فهم يعلمون ما اتّصف به أولادهم من حبّ المجازفة والمخاطرة . ولا تأمن الوالدة حينما يكون أولادها بعيداً عنها .

ولكنها قبلت أخيراً أن يسافر أولادها إلى خالهم ، بعد أن تكفّل لها أخوها «ممدوح» بالحفاظ عليهم ، وبالابتعاد بهم عمّا يشتمّ منه رائحة المغامرة .

جلس المغامرون فى الحديقة الصغيرة التى تحيط

«بالشاليه» فى انتظار وصول خالهم من عمله . وكانوا يتحدثون والسعادة تغمرهم ، فيما وعدهم به من قضاء وقت ممتع فى هذه الناحية .

كانوا يتوقون إلى القيام بالنزهات الخلوية الهادئة ، والاستحمام فى مياه الخليج الدافئة . لا شك أنهم فى حاجة ماسّة إلى الراحة والاستجمام من عناء الدراسة طول العام .

ولكن أهم ما كانوا يتطلّعون إليه فى لهفة وشوق ، هو ما وعدهم به خالهم من إقامة مخيم لهم فى جبل «عتاقة» .

إن عيونهم سوف تكتحل بمناظر «عتاقة» الخلاّبة ، الذى يشتهر بدروبه وأوديته الجميلة .

قال لهم «ممدوح» إنه يعرف الجبل كما يعرف كفّه . فهو يداوم على مطاردة المهرّبين والمجرمين فى مسالكه ومخابئه . وقال إنه سيرسل معهم دليلاً محنكاً يرافقهم ، ويقوم على خدمتهم وحراستهم ، إلى أن يلحق بهم بعد يوم أو يومين ، فى مكان جميل أسماه «وادى الفراشات» حيث سيعسكرون هناك !

وادى الفراشات ! ! . . . إنه اسم غريب خلاّب ! . . أهو يمتلئ حقيقة بالزهور والفراشات الملوّنة الجميلة؟ لابدّ أن يكون كذلك، وإلا لما أطلقوا عليه هذا الاسم !

إنهم يحلمون بإقامة مخيّمهم فى هذا الوادى الخيالىّ ! ياله من وقت طيب ممتع سوف يقضونه وسط الزهور والفراشات ! ! . .

° ° °

كانت «أم عجلان»، وهى أعرابية عجوز تشرف على شئون المنزل الصغير، تعمل فى همة ونشاط فى تهيئة الطعام الذى سيحمله المغامرون معهم فى رحلتهم المرتقبة .

وأثناء ذلك كانت لا تكفّ عن الثرثرة، وهى تقصّ عليهم الحكايات والقصص المثيرة عن جبل «عتاقة» . فقالت لهم، ضمن ما قالت، إن ابنها «عجلان» دليل متمرّس كفء وعليهم أن يطمئنوا إلى قيادته . وأن سلاح الحدود كثيراً ما يستعين بخبرته فى تعقّب المهرّبين الذين يحتمون فى الجبل ومغاوره .

سألتها «**عالية**» : ومتى سيأتى «عجلان» ؟

أم عجلان : باكر فجراً . . وسيحضر معه الحمير ! . .

عالية : الحمير ! . . وماذا سنفعل بالحمير؟

أم عجلان : وكيف ستسيرون فى الجبل ؟ . . ومن سيحمل لكم الزاد والماء والخيام ؟ المسافة بعيدة حتى وادى «أبو دقيق» !

عامر : وهل هناك فراشات حقيقية ؟ أم هى خرافة !

أم عجلان : وكيف لى أن أعلم ؟ فأنا لم أذهب إلى هذا الوادى ! ولكنهم هكذا يقولون . .

وصل «ممدوح» فى هذه اللحظة، فاستقبله المغامرون بالأحضان . وكانت «عالية» أسعدهم برؤيته، وقالت له صائحة وهى تتعلّق برقبته : وادى الفراشات فى انتظارنا يا خالى !

متى سنبدأ رحلتنا ؟

أجاب «**ممدوح**» : باكر إن شاء الله . . عندما يصل «عجلان» بالخيام وبقافلة الحمير . . فلكلّ منكم حمار

يمتطيه . . وحمار لحمل الطعام والماء .

عارف : ووادى الزهور . . والفراشات . . هل هذا حقيقة ؟

ممدوح : أنا لم أشاهد الوادى . . وإن كنت أعرف الطريق إليه . . على كل حال ستكتشفون ذلك بأنفسكم . .

عالية : كنا نود أن تصحبنا باكر يا خالى . .

ممدوح : يؤسفنى ذلك كثيراً يا «عالية» . . ولكنى سألحق بكم بعد باكر . . فلدىّ عمل هام جدًّا أرجو أن أتمّه بسرعة . .

عامر : وهل هذا العمل على هذا القدر من الأهمية حتى تتخلّف عنّا ؟

عالية : هل هو عمل خاص بالتهريب وتعقّب المجرمين كالعادة ؟

ممدوح : لا . . بل هو عمل من نوع آخر خطير . . لا يمكننى الآن أن أقول لكم أكثر من ذلك . . ولكنكم ستسمعون عنه قريباً ! ! . .

والآن أنتم فى حاجة إلى النوم المبكّر . . فصعود الجبل على ظهر الحمير ليس بالعمل السهل الذى تعوّدتموه . .

* * *

بات المغامرون ليلتهم ، ولا شىء يشغل بالهم سوى هذه الإجازة التى سيقضونها فى هذا الجبل النائى . إنهم سوف يجوبون أرجاءه ، حيث يشاهدون الطبيعة العذراء ، يقرّبها إليهم منظارهم المعظّم ، ويسجلون مناظرها الفريدة بآلتهم الفوتوغرافية وكل منهم يعتلى حماراً لا يشاركه فيه أحد ! . . . يصعدون به طرقات الجبل الضيّقة ودروبه الوعرة ، حتى يصل بهم المطاف إلى وادى الفراشات الجميل ! . . وهناك ينصبون خيامهم حتى يصلهم خالهم «ممدوح» ! . . هذا ماكانوا يحلمون به ! ! . .

وقبل أن تهجع «عالية» فى فراشها ، قالت «لعامر» :

– لا أدرى لماذا . . ولكن قلبى يحدثنى أننا على أبواب مغامرة !

أجاب «**عامر**» : وما المغامرة فى ركوب حمار ، والتنزه به

فى الجبل ! . . ومع ذلك فسيكون معنا دليل . . وسيلحق بنا خالنا . .

عالية : إن جبل «عتاقة» هذا يذكّرنى بالوادى الرهيب ! أليس هذا الجبل هو بداية هذه السلسلة التى تمتد على طول ساحل البحر الأحمر ، حتى تصل إلى جنوب وادى النيل ؟

عامر : نعم . . ولكننا على بعد بضعة كيلومترات فقط من مدينة السويس . . وها هو ذا شاطئ البحر على مرمى الحجر منا ! . . نامى يا «عالية» ولا تفكرى فى شىء من هذا ! . . .

وقبل أن تشرق الشمس ، صحا المغامرون على الصوت المزعج لنهيق الحمير ، و«روميل» وهو يستقبلها بنباحه العالى ! فخرج الجميع مسرعين من حجراتهم ، وهم مازالوا بلباس النوم . فوجدوا ستة من الحمير تصطف فى الحديقة ، و«عجلان» يقف بجوار حماره .

وماكادت «عالية» ترى القافلة حتى أشارت إلى حمار

أبيض وديع صغير الحجم ، وصاحت : لقد اخترت هذا الحمار ! إنه لى ! . .

قال «**عجلان**» : هذه أتان ! . . إنها أنثى الحمار . . وهى هادئة ومطيعة . .

ثم أشار «عامر» على حمار كبير الحجم ، يبدو عليه أنه قائد المجموعة ، وقال : وهذا لى !

عجلان : هذا لك . . وهو حمار قوى ولكنه شقىّ ومشاكس ! . .

عالية : الحيوانات كلها تحب «عامر» . . وسيكون حماره أطوع له من بنانه !

أما «عارف» فقد وقع اختياره على حمار رمادىّ اللون ، و«سمارة» على حمار أسود اللون !

أما الحمار البليد الذى تبقّى ، فكان من نصيبه حمل الخيام والطعام والماء ! . .

وهكذا تم توزيع قافلة الحمير على المغامرين ، وهم يهلّلون من فرط سعادتهم وفرحهم . أما «روميل» فقد هدأ

فجأة وهو يشعر بالحزن والتعاسة ، بعد أن انصرف المغامرون عنه إلى تدليل هذه الحيوانات الدخيلة ! . .

دخل المغامرون المنزل لارتداء ملابسهم استعداداً للرحيل . فى حين كان «ممدوح» يزوّد «عجلان» بتعليماته الأخيرة .

ثم اجتمع بهم «ممدوح» على مائدة الإفطار ، ليحدّثهم فى شأن الرحلة . فأخذ ينصحهم بالتعقل والرزانة ، والبُعد عن الرعونة والتهوّر ، والاستماع إلى إرشادات الدليل «عجلان» . .

وقال «**ممدوح**» : اتبعوا «عجلان» فى صفّ طويل مفرد ، فالدّرب ضيّق متعرّج . وقد تصادفكم منحنيات حادة خطرة .

وكلّما ارتقيتم لا تنظروا إلى أسفل الجبل ، لئلا يصيبكم الدّوار ! . .

سأل «**عامر**» : ومتى سنصل إلى وادى الفراشات ؟

ممدوح : قبل الظلام . . وهذا يتوقف على همّتكم فى

السير !

بدأت القافلة سيرها فى السابعة صباحاً ، يتقدمها «عجلان» على حماره وهو يقود الحمار البليد المحمّل بالخيام والطعام . ويتبعه المغامرون ، «عالية» فى المقدمة ، و«عامر» فى المؤخرة .

وكان «روميل» يسير بجوار «عامر» وهو مازال حزيناً مكتئباً . إنه لم يتعوّد بعد على هذه الحمير الدخيلة !

الضباب !



سارت الحمير بأقدام ثابتة فوق صخور الدروب الملساء . وما لبث المغامرون الثلاثة أن تعوّدوا على مطاياهم بعد وقت قصير . كما أن الدواب أنست لهم ، وخصوصاً الأتان البيضاء الوديعة ، التى كانت ترمح بحملها الخفيف ! أما « سمارة » فلم يكن ركوب الحمير بدعة جديدة عليه . فهو قد مارسها طويلاً فى مسقط رأسه « مرسى مطروح » ! وقد أدرك حماره الأسود هذه الحقيقة بمجرد أن لمس « سمارة » ظهره . فلم يحاول أن « يحرن » معه ، كما يفعل الحماران الآخران مع « عارف وعامر » ! ! . .

ولكن بعد ساعة من السير المتواصل ، ابتدأ المغامرون

ولم يكد النهار يتوسط ، حتى كانوا قد بلغوا فى مسيرتهم شوطاً طويلاً ، وعلوا شاهقاً . .

يشعرون بتيبّس أطرافهم . والتفتت «عالية» إلى أخيها «عارف» الذى يتبعها ، وقالت له مازحة : لقد تجمّدت أطرافى ! وكأن العمر تقدّم بى مائة عام !

عارف : تشجّعى يا «عالية» ، فسرعان ما ستألفين هذا الجو ! وسوف تزول متاعبنا عندما نصل إلى الوادى الموعود !

عالية : كيف يكون هذا الوادى يا ترى ؟ إنى أتخيله وكأنه يرفرف بالأجنحة الزاهية الملونة ، ويكسوه بساط من الزهور البرّية الجميلة .

عارف : سنرى ! ! إنى لا أتصوّر كيف ينبت الزهر فى هذا الصخر الجلمود ! ! . .

وكان الجو صحواً مشرقاً ، والسماء زرقاء صافية . ولم تكن حولهم من دلائل الحياة سوى زقزقة العصافير التى كانت تطير فوق رؤوسهم من وقت إلى آخر .

ولم يكد النهار يتوسط ، حتى كانوا قد بلغوا فى مسيرتهم شوطاً طويلاً ، وعلوّا شاهقاً !

وعندما ابتدأوا يحسّون بالتعب والجوع والظمأ ، اقترح

«عامر» أن يتوقّف بهم الركب قليلاً ، فصاح على «عجلان» قائلاً : مهلاً يا «عجلان» ! سنعسكر هنا بعض الوقت .

كان المكان الذى وصلوا إليه منبسطاً فى الجبل ، تنمو فيه بعض الأعشاب والشجيرات . وتحيط به بعض الصخور العالية التى تصدّ عنهم الرياح وأشعة شمس الظهيرة . .

أخرج المغامرون قليلاً من الطعام والماء ، وجلسوا على العشب الأخضر يأكلون ، فى حين تولى «عجلان» البحث عن بركة من الماء المتخلف عن الأمطار والسيول لسقى الحمير .

وكان «روميل» يسير فى ركاب الحمير أينما ذهبت ، بعد أن أنس لها ، وبخاصة الأتان التى كان لا يفارقها . . ويلعب معها ويشاكسها وتشاكسه ! . .

نادى المغامرون على «عجلان» ليشاركهم طعامهم . فقبل دعوتهم على استحياء ، وجلس وسطهم يأكل مما يأكلون .

قال «**عامر**» : ضاحكاً : هذا مكان مناسب لإقامة مأدبة ملوكية ! . .

فأشارت «**عالية**» فجأة إلى المنظر الذى يكشفه موقعهم العالى ، وتظهر فيه قمم الجبال والسهول والصحارى ومياه البحر الزرقاء ، وقالت : انظروا ! . . لا يوجد هناك قصر لملك أو أمير يكشف له مثل هذا المنظر الرائع الخلاّب ! . .

استأنف الركب سيره بالمغامرين بعد أن أكلوا واستراحوا . ولكنهم كانوا يشعرون مع ذلك بالآلام تنخر فى عظامهم من طول المسيرة على ظهور الحمير .

لم يكن أمامهم سوى الصبر والتجلّد ولم يبق أمامهم إلاّ القليل حتى يصلوا إلى الوادى الموعود . . حيث الراحة والمتعة ، حتى يصلهم خالهم «ممدوح» ! . .

كانت القافلة تجد فى سيرها ، حتى قاربت الشمس على المغيب . ولكن لا أثر بدا لهم لوادٍ أو سهل ! وكانت «عالية» تتطلّع بنظرها الثاقب هنا وهناك ، علّها تلمح فراشة واحدة . ولكنها لم تر شيئاً من ذلك ! حتى العصافير القليلة التى كانت تحوم حولهم ، اختفت عن الأنظار !

ولاحظت «عالية» الاضطراب على «عجلان» وهى

تتبعه عن قرب . فساورها القلق الشديد ، وسألته :

— متى سنصل إلى وادى الفراشات يا «عجلان» ؟

توقّف «عجلان» عن السير ، وتردد قليلاً قبل أن يجيبها : ليس الليلة على كل حال ! . . الوقت الآن متأخر . . كان سيرنا بطيئاً . . وأضعنا وقتاً طويلاً فى تناول الطعام . . .

عامر : وما العمل الآن ؟

عجلان : أعرف مكاناً على مسيرة نصف ساعة يصلح لأن نعسكر فيه الليلة . . وسنستأنف مسيرتنا فى الفجر إلى وادى «أبو دقيق» فنصله قبل الظهر !

أصابهم اليأس ، بعد أن كان الأمل يساورهم أن يقضوا ليلتهم الأولى وسط الفراشات والزهور . . والأحجار والصخور ! ولكن لم يكن أمامهم سوى الرضوخ أمام الأمر الواقع . فتبعوا «عجلان» حتى وصل بهم إلى موقع متسع يصلح لدقّ خيامهم .

لا بأس عليهم ! إنها ليلة واحدة سوف يقضونها كيفما

يكون . . يتابعون بعدها سيرهم إلى حيث كانوا يأملون !

عامر: هيّا بنا ننصب خيامنا قبل أن يهجم علينا الظلام .

* * *

كانت الحمير أسعدهم جميعاً بالتخلّص من أحمالها بعد عناء السير الطويل المرهق . وأخذت تتمرغ فى الأرض وتدفع بسيقانها فى الهواء وتنفس المغامرون الصعداء وقد جلسوا فى استرخاء ، بعد أن أقاموا الخيام ، وأعدّوا الطعام .

قاربت الشمس على الاختفاء فى الأفق البعيد . وكان ضوؤها يصبغ قمم الجبال المحيطة بهم بلون أحمر وهّاج . ثم أخذ الظلام يزحف عليهم فى بطء . . والنجوم تتلألأ فى كبد السماء . .

وريح باردة تهبّ عليهم من ناحية البحر .

فدخل «عامر» مع «عالية» فى خيمتهما . و«عارف» مع «سمارة» فى خيمة مجاورة . أما «عجلان» فكان سيقضى ليلته فى العراء بجوار حميره لحراستها ، بعد أن ربطها فى بعض

الشجيرات القريبة .

وقبل النوم ، أخذت «عالية» تتثاءب وهى تحدّث «عامر» فقالت : إنى أتصور الآن أننا وحيدان فى هذا العالم . . ولا أحد غيرنا ! !

قال «عامر» : هذا شىء مخيف ! لو تحقق ! نامى يا «عالية» وادّخرى قوتك لرحلة الغد .

عالية : أرجو أن يكون الجو فى الغد صحواً . . وأن تسكن هذه الريح حتى نتابع رحلتنا فى سرعة وأمان !

ساد السكون على المخيم بعد أن استغرق الجميع فى نوم عميق ، لم يفوقوا منه حتى الصباح المبكّر .

كانت «عالية» تتعجل الرحيل ، فخرجت مسرعة لتغسل وجهها فى النبع القريب . ولكنها ما كادت تطأ بقدميها خارج باب الخيمة ، حتى صاحت فى استغراب : أسرع يا «عامر» وتعال انظر معى !

عامر : ماذا ترين ؟ ! . .

عالية : إن الفضاء أبيض كاللبن الحليب ! ! . . إنى لا

أرى كفى ! . .

هرع «عامر» إلى الخارج ، وعندما رأى الدنيا حوله ، صاح بدوره : ياله من ضباب كثيف ! إنى لم أر أثقل منه فى حياتى !

عالية : يالحظّنا العاثر ! إننا الآن تحت رحمة هذا الضباب . .

عامر : هذا صحيح . . فلن يمكننا أن نتحرك إلا إذا صحا الجو ! ! . .

عالية : وإذا لم ينقشع ! . .

عامر : سنظل فى مكاننا . . حتى لو بقينا هنا أسبوعاً ! !

صحا «عامر» و«سمارة» على صوتهما ، فخرجا ليجدا الدنيا حولهما وقد تغيّرت معالمها . لقد اختفت قمم الجبال والسهول والوديان ! وحتى الشجيرات والحمير حجبها الضباب عن أنظارهم .

سمع المغامرون صوت «عجلان» وهو ينادى عليهم من مكان ما بأعلى صوته : لا تتحرّكوا من مكانكم . . وإلا

لهوى أحدكم من جرف الجبل ! . . فنادى عليه «عامر» وسأله : ما هذا الذى حدث يا «عجلان» ؟ . . هل يمكن أن نواصل السير ؟ . .

عجلان : ليس قبل أن ترتفع «الشبّورة» ! . .

عالية : متى ؟ . . وإذا ظلّت على ما هى عليه ؟

عجلان : هذه «شبورة» غير عادية ، لم أر مثلها فى الجبل ! . . وفى السير الآن خطورة كبيرة . . لا يمكننى أن أجازف بحياتكم . . وحياة حميرى . . فهى كل ثروتى ! . .

عامر : فلننتظر ساعة أو ساعتين إذن ! . .

عجلان : قد تطول عن ذلك . . وقد تمكث يوماً أو يومين ! !

* * *

ولكن عندما حانت العاشرة ، بدأ قرص الشمس يلوح لهم باهتاً مهزوزاً وهو يخترق جدران الضباب .

فاقترح «عجلان» عليهم أن يواصلوا سيرهم على مهل ، فقال : سنبدأ السير الآن لنكسب بعض الوقت . . فقد تزول

«الشبورة» تماماً بعد قليل . . .

وافقه المغامرون فى الحال ، وما لبثوا بعد عشر دقائق حتى كانوا يمتطون حميرهم ، يتبعون «عجلان» فى الطابور الطويل .

وكانت «عالية» تقبض بيدها على ذيل حمار «عجلان» ، حتى تتأكد من أنها تتبع الطريق الصحيح .

قالت **«عالية»** وهى تضحك : سأمسك بذيل حمارك يا «عجلان» قبل أن تضيع منى فى «الشبورة» !

كانت الرؤية تكاد تكون معدومة أمامهم . أما كيف يرى «عجلان» الدرب الضيّق الوعر أمامه ؟ فهذا ما كان يسبّب لهم الحيرة والقلق ! على كل حال هو أدرى بما يفعل ! أليس هو الدليل المحنّك الخبير . . بشهادة خالهم «ممدوح» ! . .

وبعد قليل ، لم يجد المغامرون بدًّا من أن يمسك كل منهم بذيل الحمار الذى يتقدّمه . حتى أصبحوا كطابور الفيلة وهى تدور فى حلبة السيرك ، كل منها يمسك بذيل زميله بخرطومه الطُويل !

حتى «روميل» ، قبع ساكناً فى أحضان «سمارة» فوق ظهر الحمار ! ! . . .

وبعد نصف ساعة ، خُيّل للمغامرين أنهم لم يتقدموا فيها أكثر من مائة متر . والأدهى أنه خُيّل إلى «عامر» أنهم لا يسيرون فى الدرب الصحيح ! . . لقد أصبح الطريق تحت أقدامهم لا يحمل أية علامات أو دلائل تشير إلى أنهم يجتازون درباً مطروقاً ! ! . . فصاح «عامر» على «عجلان» يسأله : هل اقتربنا يا «عجلان» من وادى «أبو دقيق» ؟

صمت «عجلان» وأطبق فمه عن الكلام . كان يسير وهو يتلفّت ذات اليمين وذات اليسار ، كمن يبحث عن شىء مفقود ! ! . . نادى «عامر» على «عارف» ، وهمس له بصوت خافت ، خوفاً من أن يصل صوته إلى عالية : لقد ضلّ «عجلان» الطريق ! ! ! . . .

« **عجلان** » . .

بُهت « عارف » من قول أخيه ، وأصابه الذهول ! ياله من خاطر فظيع مرّ بذهنه . . أَهُمْ تائهون حقًّا فى هذا الجبل الموحش القفر ؟ ! . .


عامر

قال « **عارف** » : إذا كان الأمر كذلك ، ألا تظن أنه من الأسلم لنا أن نعود من حيث أتينا . .

عامر : هذا مستحيل . . فسيّان رجعنا أو تقدمنا . . وأنا على يقين أن « عجلان » حاد عن الدرب الصحيح ! . .

عارف : وما رأيك إذا توقفنا هنا ؟

عامر : هذا أفضل لنا . . فنحن كمن يدور فى حلقة مفرغة !

عارف : لنسأل « عجلان » عن رأيه فى ذلك . . فهو دليلنا ! ويقولون عنه إنه يحفظ « عتاقة » ظهراً عن قلب !

ولكنْ بسؤال « **عجلان** » ، أجاب : التوقف الآن مستحيل . . سنسير حتى أعثر لكم على ملجأ مستور يحمينا من الريح . . فهى تشتد وتعوى . .

وهكذا تبعوه صامتين فى الضباب بخطى وئيدة . كم هو كريه هذا الضباب . . وهذه الريح الصرصر ! لقد أفسدت عليهم رحلتهم ! . . .

ولكن الحمد لله على كل حال ، فمصيبة أهون من مصيبة ! إن معهم من الطعام والماء ما يكفيهم أسبوعاً . . وستٌ من الدواب المطهّمة . . ومن الخيام المجهزة ما يدرأ عنهم قيظ النهار وقرّ الليل . .

وكان كلما تقدّم بهم السير انقشع أمامهم الضباب ، وبزغ ضوء الشمس ، حتى وضح لهم الطريق قليلا . إنهم يميزون الآن بين قمة الجبل وبين السهل والوادى . . أو بين البحر والصحراء . .

وأخذت «**عالية**» تصيح قائلة : لقد حان الوقت لأن نرى وادى الفراشات ! . .

أخرج «عامر» نظارته المعظّمة من جرابها ، وأطلّ منها على وادٍ يبدو لهم قريباً ، ثم أشار بيده نحوه وقال :

أرى هناك وادياً . . قد يكون هو ! هل هذا هو وادى «أبو دقيق» يا «عجلان» ؟

تردّد «عجلان» طويلاً ، وقد ظهرت الحيرة على وجهه . ثم أجاب وهو يهزّ رأسه : نعم . . لا ! ! . . .

عالية : نعم . . . لا ! ! . . ماذا تعنى يا «عجلان» ؟ ! . .

عارف : يعنى بالعربى أنه ليست لديه أية فكرة ! ! . .

سمارة : أنا أعرف الأودية . . هذا المكان ليس وادياً . . بل هو منخفض بين جبلين ! ! . .

عامر : ليس أمامنا الآن إلا الذهاب إلى هناك . . فهو آمن لنا من هنا . .

عالية : لقد أتى بنا «عجلان» إلى مكان لا يعرفه ! . .

سمارة : لو قادنا «روميل» لكان أفضل منه ! . .

وصلوا المنخفضين قبل غروب الشمس بقليل ، إذ كان أبعد كثيراً مما بدا لهم أول وهلة وهذا هو عيب السير فى الجبال وخطره ، فالمسافات تبلغ فيها ضعف ما تلوح للمرء بالعين المجردة ! . .

نصبوا خيامهم ، وهم يشعرون بخيبة أمل بالغة . إذ كانوا يطمعون فى أن يقضوا أيامهم التالية بين الزهور البريّة والفراشات الملوّنة الزاهية ، مع خالهم «ممدوح» وليس فى هذا المنخفض الذى تطبق عليه الحوائط الصخرية من كل مكان !

أما الآن فعليهم أن يتابعوا السير من جديد ، بعد أن يستريحوا ليلتهم هذه ، حتى يعثروا على الوادى الموعود .

هذا إذا كانوا سيعثرون عليه أصلاً ! ! . . ولكن لا بأس . . إذا كان «عجلان» قد خيب آمالهم . . فليبحثوا هم عنه بأنفسهم ! . . لابد أن يجدوا وادى الفراشات !

ولما حان وقت النوم ، دخلوا خيامهم . فى حين ذهب

«عجلان» ليبيت فى العراء بجوار حميره .

وما كاد الليل ينتصف ، حتى هبّ «عارف» و«سمارة» من نومهما فجأة على صوت «عجلان» وهو يقتحم عليهما خيمتهما . كان يرتجف من الخوف ، ثم هوى على الأرض وهو يقول : سمعت أصواتاً عجيبة ! ! . .

عارف : أين ؟

سمارة : أهى أصوات آدمية ؟

عجلان : لا أدرى فالدنيا ظلام . . فلم أسمع إلاّ أصواتاً ! . .

عارف : أنت تحلم !

عجلان : أبداً . . كنت مستيقظاً . . حتى الحمير جفلت ! سأنام معكما فى الخيمة ! . . .

قال هذا ورقد على باب الخيمة من الداخل ، بعد أن أحكم غلقها ، ونام لتوّه ! . .

أخذهما العجب ، وأصابتهما الحيرة فى أمر هذا الرجل ، وكانا يفكّران : ما الذى يمكن أن يصيب «عجلان» بمثل

هذا الخوف والهلع ؟ ! . . لابدّ أنه أمر جَلَل ! . .

° ° °

وفى الصباح كانت السماء ملبّدة بالغيوم السوداء ، والرياح القوية تهبّ عليهم من الشرق ، عندما كان المغامرون يتناولون إفطارهم خارج خيامهم . وجلس «عجلان» وسطهم يشاطرهم طعامهم كالعادة .

وكانوا يتحدثون فيما جرى «لعجلان» ليلة أمس ، من سماعه تلك الأصوات الغريبة التى أصابته بالفزع .

سأله «**عامر**» : ما الذى أرعبك أمس يا «عجلان» ؟

عجلان : مجرّد أصوات ! ! . .

عامر : أيّة أصوات ؟ ! . . نحن لم نسمع شيئاً ! . .

وفجأة صدر عن «عجلان» صوت مزعج فزع له «روميل» ، فأخذ ينبح فى وجهه !

ثم تابع «عجلان» حديثه ، فقال : ذهبت إلى مربط الحمير لأطمئن عليها ، وهناك سمعت تلك الأصوات المفزعة ! . .

عامر : وهذا يفسّر لنا لماذا لم تصل إلى سمعنا . . .

سمارة : ولكن هذا الصوت الذى سمعناه الآن من «عجلان» ، لا يصدر إلاّ عن حيوانٍ ضارٍ مفترس ! . .

عالية : هل تظن يا «عامر» أنه توجد هنا حيوانات متوحشة ؟

ابتسم «عامر» فى وجهها ليطمئنها ، وقال : إذا كنت تقصدين بذلك نموراً وسباعاً ، فاطمئنى يا «عالية» . . . إنها لا توجد فى بلادنا ! . .

عارف : «عالية» مازالت تحلم بأنها فوق «الماشان» فى غابات «سملا» بالهند ! . .

عالية : إذن هو مجرّد كابوس أصاب «عجلان» أثناء نومه !

كان الجو ينذر بعاصفة رعديّة فنصحهم «عجلان» بالتريّث ، وعدم التحرك حتى يصفو الجو . فالمنخفض تحميه الحوائط الصخرية الشاهقة من تقلبات الجو والعاصفة .

رضخ المغامرون لمشورته على مضض ، فهو مهما يكن

أدرى منهم بعمله . ولم يكن فى وسعهم إلا الدّعاء بأن تعود الطبيعة من حولهم إلى الهدوء والصفاء . وعندئذ يمكنهم أن يتابعوا السير فى أمان ! . .

لم يكن أمامهم الكثير ليفعلوه . فأخذوا يتجوّلون فى المكان على ظهور الحمير ، و«عامر» يسجّل لهم تلك اللحظات ، والورطة التى أصابتهم ، بآلته الفوتوغرافية ! . .

نعم ، هذا صحيح . . إنهم فى ورطة ليس من السهل عليهم الخروج منها . لو كان فى وسعهم أن يعودوا أدراجهم إلى «الشالية» لفعلوا . أو أن يتقدموا إلى وادى الفراشات لما توانوا لحظة واحدة .

ولكن ماذا يفعلون الآن ودليلهم «عجلان» ضلّ طريقه وتاه فى الجبل ؟ ! . . وزاد الطين بلة سوء الأحوال الجويّة ! . .

مسكين خالهم «ممدوح» ! . . إنه يقلب الآن حجارة الجبل بحثاً عنهم ! لا شك أنه يعتقد أنهم انغمسوا فى إحدى مغامراتهم المعهودة ! .

وفى المساء ، جلسوا يتشاورون فيما يجب عمله ، وفى المأزق الذى وقعوا فيه .

قال «عامر» : أعتقد أننا يجب أن نبقى فى هذا المكان .

عارف : أوافقك على هذا الرأى . فخالنا «ممدوح» سوف يعثر علينا إن عاجلاً أو آجلاً . .

سمارة : أنا موافق . . فهو ربما لا يعثر علينا إذ سرنا فى الجبل على غير هدى ! . .

عالية : وأنا موافقة كذلك . هنا لا ينقصنا شىء ويجب ألاَّ نفترق لحظة واحدة . وبهذا سنخيف ونطرد تلك الذئاب أو الوحوش إذا هاجمتنا ! . . .

سمارة : الذئاب لا تهاجم إلاَّ فى الشتاء وهى جائعة ! . .

عالية : آه صحيح . . لقد نسيت ذلك ! ولو كانت الذئاب جائعة لهاجمت الحمير وافترستها . .

° ° °

وعندما حان موعد النوم ، نهض المغامرون يقصدون

خيامهم . أما «عجلان» فقال إنه سيرقد قرب الخيمتين بعيداً عن حميره . فهو لم ينس بعد أصوات الأمس المفزعة ! . .

وما كادوا يقفون على أقدامهم ، حتى حدث شىء عجيب ، تجمدت له أطرافهم ! ! . .

بدأت الأحداث بأصوات دمدمة وهزيم . إنهم يسمعونها ، ولكنهم لا يدركون كنهها ، أو يعرفون مصدرها . ما هذا ؟ أهى أصوات آدمية ؟ أم أصوات حيوانات ؟ كلا . . إنها ليست هذا أو ذاك ! ! إذن فماذا تكون ؟

كانت خيامهم تجاور منحدراً فى الجبل الصخرى ، يكاد يرتفع رأسيًّا إلى عناء السماء . نظرت «عالية» فجأة إلى الحائط الصخرى . وهمست قائلة : يخيل إلى أن هذا الصوت يصدر من داخل الجبل ! ! . . ولكن ماذا يكون ؟ أهو زلزال ؟ ! . . أم بركان ؟ ! . .

عامر : ماذا تقولين يا «عالية» ؟ إن هذا الجبل ليس بركاناً !

عارف : ألا تعرفين أن ليس فى مصر براكين ؟

تحير المغامرون فى تفسير هذه الظاهرة العجيبة. فآثروا أن يتغاضوا عمّا سمعوه، وأن يكذّبوا آذانهم، فى الوقت الحاضر على الأقل! .. وكفاهم أصوات الحيوانات المفترسة!

قال «عامر» إن هذا المكان أصبح الآن غير مأمون!. فبين الدمدمات التى تخرج من داخل الجبل... وزئير الحيوانات وعواء الذئاب أو كائنا ما كانت.. أصبح من الضرورى أن نغادر هذا المكان إلى مكان أكثر أماناً..

قالت «**عالية**»: إن خيامنا لن تصدّ عنا هجمات الذئاب أثناء الليل! إنها سوف تخترقها وتفترسنا!..

عارف: وماذا تقترحين؟

عالية: أن نبحث عن مأوى صخرى قريب نلجأ إليه بدلاً من الخيام.. ونشعل ناراً على مدخله تطرد هذه الكواسر!

وافق الجميع على اقتراحها وبدأوا البحث فى الحال عن مثل هذا الملجأ المأمون فى ضوء بطارياتهم. فعثروا فى مرتفع قريب على فجوة داخل الجبل فى حجم غرفة صغيرة، تظللها

صخرة ضخمة بارزة.. ولها مدخل ضيّق تسهل حراسته..

أفرغوا خيامهم من محتوياتها ونقلوها إلى المخبأ. وبعد أن تركوا «عالية» لتهيئ لهم مقرهم الجديد، تفرّقوا يجمعون بعض الفروع الجافة والأعشاب اليابسة.

استعد المغامرون للنوم، بعد أن أشعلوا ناراً كبيرة أمام المدخل. ولكن «روميل» عدا فجأة إلى الخارج. ثم توقف وأخذ ينبح عالياً!..

عالية: ماذا حدث؟ أتكون الذئاب قد رجعت إلينا؟!..

تبعه المغامرون ووقفوا بجوار «عجلان» الذى كان يرابط عند المدخل، وهم ينظرون أسفل المرتفع. كان الظلام حالكاً، ومع ذلك لم يجرؤ أحدهم على إضاءة بطاريته. ولكنهم لم يتبيّنوا شيئاً! وفجأة سمعوا صوت خرفشة عالية لاتخطئها الأذن! إنها خرفشة حيوان.. أو عدة حيوانات.. أعقبها عواء يصمّ الآذان يدوى فى الخلاء كهزيم الرعد!

همست «**عالية**»: لابد أن تكون هذه حيوانات

ضخمة ، حتى يصدر عنها مثل هذا الصوت الفظيع ! إنه
يضاهى زئير الأسود !

عامر : هيّا بنا نحتمى فى الداخل .. ولا حس
ولا حركة !

وفى هذه اللحظة انفرجت سحابة عن قرص القمر ،
ليسطع ضوؤه فى ربوع المنخفض وماكاد «عجلان» يرى
ماتحته حتى صاح بأعلى صوته : الذئاب ! ..
الذئاب ! .. إنها ستهاجم حميرى ! ...

قال هذا وأطلق ساقيه للريح كمن أصيب فى عقله بلوثة
مفاجئة ! وانحدر من المرتفع فى سرعة خاطفة يقصد مربط
الحمير .

تسلل المغامرون إلى مخبئهم ، بعد أن وضعوا المزيد من
الحطب والأعشاب اليابسة ليزيدوا النار اشتعالاً . وجلسوا
وهم يتعجّبون من تصرف «عجلان» الشاذ ! وأكثر من ذلك
يعجبون لوجود مثل هذا القطيع من الذئاب .. التى تهاجم
ولا تفترس ! ! ..

وبينما هم كذلك ، إذا «بعجلان» يدخل عليهم فجأة
وهو يصيح : تعالوا انظروا إلى الذئاب ! ..

وبعد تردّد خرجوا معه لينظروا إلى حيث أشار لهم فى
اتجاه المربط .

إنهم لا يصدّقون عيونهم ... ولكن ما يرونه أمامهم
الآن ، كان واضحاً لا غموض فيه ولا إبهام ! ..

الذئب الودود !

ظلوا هكذا ينظرون إلى الذئاب إلى أن اختفى أثرها بعد قليل .



قال «عامر» : ها قد انصرفت الذئاب إلى حال سبيلها ! إنى لا أفقه شيئاً مما يجرى حولنا ! .

عارف : ليس فى وسعنا أن نفعل شيئاً الآن !

عالية : إلاّ أن ننام . . حتى نرحل فى الفجر للبحث عن وادى الفراشات ! . .

وفى الفجر كان المغامرون يرتبون حاجاتهم استعداداً للرحيل . فى حين ذهب «عجلان» ليفكّ رباط الحمير ، وليطمئن على سلامتها من أنياب الذئاب ! . فوجدها سليمة

من كل أذى . وإن كانت دلائل القلق والعصبية تبدو فى حركاتها .

كان المغامرون يشاهدون «عجلان» من المرتفع . الحمد لله لا أثر لذئب أو أى حيوان ! . . ها هو ذا «عجلان» يسحب دوابه إلى نبع الماء . . وها هو . .

ولكن ما هذا ؟ ! إنهم يرون شبحاً غامضاً يتحرك فى وسط الأشجار التى تنمو بجوار النبع ! . . ولكنهم لم يتبينوا معالمه !

ثم توالت الأحداث أمامهم فجأة وبسرعة خاطفة . لم تدع أمامهم مجالاً للتفكير ! . .

فقد خرّ «عجلان» على الأرض وهو يخفى وجهه بين كفيه . ثم نهض واقفاً وهو يصرخ : أسود . . أسود ! . .

لم يكن لدى المغامرين أية فكرة عما حدث له . بل كانوا ينظرون إليه فى عجب ودهشة . . لا جدال فى أن «عجلان» قد أصابه مسّ من الجنون ! . .

ثم نهض بسرعة وامتطى حماره . وأشار إليهم أن يتبعوه بحميرهم .

ظلوا يستمعون إلى حوافر حماره وهى ترن على الصخر وهو يعدو بأقصى سرعته . ماذا يفعلون الآن بعد أن تركهم «عجلان» وفرّ هارباً ؟ أيتبعونه أم يظلون فى أماكنهم ؟

ولكنَ قبل أن يصل المغامرون إلى قرار ، حدث ما لم يكن فى الحسبان ! لقد فرّت الحمير وهى لا تلوى على شىء .. تتبع صاحبها ! وعندما أفاق المغامرون من هول الصدمة . كانت قافلة الحمير بأجمعها قد اختفت عن العيان ! ! ..

ولم تُجدِ نداءاتهم على الحمير ، أو توسّلات «عالية» إلى حمارتها» للعودة إليها !

جلسوا على الأرض الصخرية وقد اصفرّت وجوههم . بالهول المأزق الذى وقعوا فيه ! ..

وبعد فترة من الصمت الطويل ، نطقت «عالية» ما الذى حدث ؟ ، ولماذا كان «عجلان» يصرخ ؟ .. ولماذا هرب ؟ ..

ولم يجبها أحد . ولكن «عامر» أحاطها بذراعه بعطف

وقال : لا عليكِ يا «عالية» ليس هذا أول مأزق نقع فيه .. سنخرج منه كما سبق أن خرجنا من مآزق أشدّ وعورة ! ..

عارف : الحمد لله أننا احتفظنا معنا بطعامنا ! ..

سمارة : ولكن ماذا رآه «عجلان» ودفعه إلى الفرار ؟

عالية : لقد سمعته يقول : أسْود ! .. أسْود ! ..

سمارة : وما هو هذا الأسود ؟ إننا لم نلحظ شيئاً .. لا أسود ولا أبيض ! ..

عارف : ما رأيكم فى أن نذهب لنرى بأنفسنا ؟

عامر : بل سأذهب وحدى .. وامكث أنت و «سمارة» مع «عالية» لحمايتها ! ..

ذهب «عامر» إلى البقعة التى صاح فيها «عجلان» . وأخذ يجول بنظره بين الأشجار ، بحثاً عن هذا الشىء الأسود الغامض ! ولكنه لم ير شيئاً ! ..

عاد إليهم بعد قليل ، وقال : لا شىء هناك البتة ! إن «عجلان» كان واهماً ، يتصوّر فى مخيّلته ما لا وجود له ! ..

عارف : والذئاب ! ! .. لقد رأيناها نحن بأعيننا ! ..

أكنا نحن أيضاً واهمين ! . .

صمتوا جميعاً . . إذ كان وجود الذئاب حقيقة لا ينكرونها ! ! . . إن الكلّ يشعر الآن فى قرارة نفسه . أنهم مقدمون على مجازفة خطيرة ، قد تفوق فى عنفها مغامراتهم السابقة !

° ° °

كانت «عالية» تلقى بنظرات عارضة إلى الجبل الذى يرتفع أمامها كالطود ، وقالت : إنى لا أميل إلى هذا الجبل ! ! . .

عامر : ولماذا ؟

عالية : لا أدرى . . هذا هو شعورى نحوه ! . . هذا الجبل يختلف عن باقى الجبال التى مررنا بها ! . .

عارف : لندع الشعور والإحساس جانباً . . ونفكّر فى واقعنا . . ماذا سنفعل الآن ؟

نعم . . هذا السؤال هو بيت القصيد ! ماذا سيفعلون الآن ؟

عامر : أعتقد أنه يحسن بنا أن نبقى فى مكاننا حتى يعثر خالنا «ممدوح» علينا . . .

عالية : هذا معقول . . إذ قد نضلّ طريقنا إذا عدنا وحدنا إلى المنزل ! . . . أو قد تصادفنا الذئاب ! ! . .

سمارة : وكيف نعود سيراً على الأقدام . . فالمسافة طويلة . . ومن سيحمل لنا طعامنا وحاجاتنا وخيامنا ؟ ! ! . .

عارف : يجب ألا نتحرك من هذا المكان ، فهناك احتمال أن يعود «عجلان» بخالنا لنجدتنا ! . .

عامر : المهم الآن ألا نفترق . . .

عالية : تقصد بذلك أننا سنخيف الذئاب إذا هاجمتنا ؟ سوف نصرخ فى وجهها بصوت واحد حتى تفرّ هاربة ! . .

سمارة : لا خوف منها يا «عالية» . . لأنها لو كانت جائعة لهاجمت الحمير وافترستها ! . .

ولم يكد «سمارة» يتم جملته ، حتى بدأ صوت الدمدمة يخرج من جديد من باطن الجبل ! ! . .

انزعج المغامرون لهذا الصوت الذى كانوا قد تناسوه . . أو تجاهلوه ! . .

وهمست لهم «**عالية**» : لقد صدق شعورى . . ألم أقل لكم إن الخوف يتملكنى من هذا الجبل ؟ !

وما كادت آذانهم تتعوّد على هذا الصوت المزعج المتواصل ، حتى سمعوا صوتاً آخر أكثر إزعاجاً . ولكن مع ذلك كان له أحسن الوقع فى آذانهم ! . . كان الصوت صوت نهيق حمار ! . .

كادوا يبكون من الفرح لسماعهم هذا النهيق . كان وقعه على آذانهم أجمل من النغم العذب ! أتكون الحمير قد عادت إليهم . . ومعها «عجلان» ؟ ! . . .

ولكن فرحتهم لم تتم . . فقد اكتشفوا أنه كان صوت حمار واحد . أما باقى الحمير فلا أثر لها ! . .

وعندما اقترب الحمار من مرمى بصرهم ، صاحت «عالية» فى فرح «حمارتى» ! ! . . لقد عادت إلىّ ! . .

وما كاد «روميل» يلمح الأتان الوديعة المحبوبة ، حتى

أخذ يقفز من الفرح ، وجرى نحوها ليستقبلها ، ورافقها حتى وصل بها أسفل المرتفع .

قالت «**عالية**» : والآن ستعفينا «حمارتى» من حمل الحطب والأعشاب ! . . سنحتاج إلى أكوام منها فى ليالينا القبلة ! . .

وما لبث النهار أن ولىّ ، وهجم الظلام عليهم ، وتوقّف معه صوت الدمدمة التى كانوا قد تعوّدوا عليها . وفى الظلام بدأت الوساوس والهواجس تنتابهم من جديد . وبدءوا يتذكّرون ما كانوا نسوه من عواء الذئاب . . وصرخات «عجلان» وهو يقول بعد أن شاهد الشبح الغامض : أسود ! . . أسود ! . .

وأخذوا يتساءلون : ما الذى رآه «عجلان» يا ترى ؟ . .

ثم أخذوا يتداولون ، فيما إذا كانوا يتركون «الحمارة» فى الخارج ؟ أو يدخلونها لتبيت ليلتها معهم ؟ ولكن الأتان العنيدة رفضت محاولتهم . وأبت أن تبيت ليلتها فى الهواء الطلق

قالت «**عالية**» ذنبك على جنبك . . . ستأكلك الذئاب !

استغرق الجميع فى نومهم ، ما عدا «عامر» الذى انتابه القلق والأرق . فكان يخرج من وقت لآخر ليغذّى النار بالوقود وليطمئن على سلامة الحمارة .

وعندما انتصف الليل أوكاد ، سمع «عامر» الأتان وهى تدق بحوافرها على الصخر ، وتنفخ بأنفها ! وما كاد يطلّ برأسه من المدخل ، حتى جحظت عيناه ، وجمد فى مكانه بلا حراك ! رأى أشباحاً سوداء تنسلّ فى طريقها إليهم ، ثم توقفت فجأة لا تتعدى خط النار؟ وإن بدا عليها أنها لا تخشى لهيبها ، أو رائحة الدخان ! . .

هذا عجيب حقًّا ! . . فالذئاب تخاف النار ولا تقربها ! ! . .

شاهد «عامر» كرتين خضراوين من النور تشعان كمصابيح السيارة . فجلس فى صمت وهو يحدق فيها ! نعم . . هى الذئاب بعينها قد عادت إليهم ، بعد أن

جذبتها رائحتهم إليها ! . . ولكن أليس غريباً أنها لم تهاجم الأتان ؟ كما أنها لم تطلق ساقيها للريح خوفاً منها وفزعاً؟ كلّ ما فعلته أنها أظهرت بعض القلق ! . .

استمرت هذه الأشباح السوداء تروح وتجئ خلف النار لا تتعداها . إلى أن اختفت فجأة . وهنا فقط تنفّس «عامر» الصعداء .

يالها من فكرة صائبة ألهمتهم أن يوقدوا هذه النار . إنه لن ينام ليلته ، خوفاً من أن يخبو لهيبها ! . .

جلس «عامر» طوال الليل وهو يفكّر فى الذئاب . . وأصوات الدمدمات التى تخرج من باطن الجبل . . وفى الشبح الغامض الذى نعته «عجلان» بالأسود ! ! . أتكون هناك علاقة تجمع بين هذه الأشياء المبهمة ! . .

نهض «عامر» متسلّلا ، وذهب إلى حيث تقف الحمارة ، وأخذ يحدّثها ويربت على ظهرها . ولكنه فوجئ فى هذه اللحظة بسماع صوت ضعيف ، ثم رأى لدهشته وهلعه ذئباً

يقف بينه وبين مدخل الكهف ، وكأنه يقطع الطريق عليه ! . .

وقف الذئب ساكناً ينظر إلى « عامر » فى ضوء القمر . وكان « عامر » يبادله النظرات ، وهو يفكّر فى ماذا يفعله لو هاجمه الذئب ؟ أو لو اقتحم الكهف على إخوته وهم نيام ! ! . .

ولكن شيئاً عجيباً حدث لم يكن يخطر له على بال . أخذ الذئب يهزّ ذيله الطويل ، ويتطلّع إلى « عامر » فى فضول .

هذا شىء عجيب حقًّا ، بل خارق للعادة ! إن هذا الحيوان يريد أن يصادقه ! ! . . إن كل الحيوانات تنجذب نحو « عامر » بغريزتها تطمع فى مصادقته ! ! . . هذا جائز . . ولكن ليس مع الذئاب ! !

كاد قلب « عامر » أن يقفز من بين ضلوعه ، وهو يمدّ يده إليه بحذر . فما كان من الذئب إلاّ أن تقدّم فى بطء وهو يزوم ، ولعق يده الممدودة إليه ! ! . .

رآه « عامر » الآن بوضوح ، بعد أن كشف له ضوء القمر

عن أذنيه المدبّبتين . . وفمه الطويل . . وذيله الذى يكاد يصل إلى الأرض ! . .

أيكون هذا ذئباً ؟ ! . . إنه بدأ يشك فى ذلك بعد أن اقترب منه هذا الحيوان الألوف الودود ! !



«عالية» فى مأزق !



عالية

فاق «عامر» من دهشته ، وأخذ يربت فروة الكلب الأسود الضخم . بحنان ، والكلب يتمسّح فيه وهو يزمجر زمجرات الفرح .

هتف «عامر» يحدّث الكلب ، فقال : أنت كلب «وولف» أصيل ! ! .. أليس كذلك ؟؟ . لماذا لم أفكر فى ذلك من قبل ؟ .. أين إخوانك وزملاؤك ؟ ما رأيك فى أن نصبح أصدقاء ؟

كان الكلب ينصت إليه بآذانه المدببة الطويلة ، وكأنه يتفهّمه تماماً ! .. اندهش «عامر» من هذا الاكتشاف المفاجئ ! إذن هذه الحيوانات الضخمة التى ظنّوها ذئاباً

سوداء ، إنما هى كلاب من فصيلة «الوولف» المدرّبة تدريباً عالياً ! ! إنها نسخة مطابقة للكلاب التى شاهدها أخيراً فى عرض الكلاب البوليسية المدرّبة فى كلية الشرطة ! ! ..

ولكن .. لمن تكون هذه الكلاب ؟ .. ومَنْ درّبها ؟ .. ومَنْ أتى بها إلى هذا المكان المنعزل ؟ .. أتكون فى مهمة بوليسية خاصّة ، تقتفى أثر بعض اللصوص والمهرّبين ؟ .. هذا جائز ! ..

شعر «عامر» بالسعادة لهذا الخاطر المفاجئ . ربّما كان خاله «ممدوح» على رأس هذه القوّة البوليسية ! .. ألم يعتذر لهم عن مرافقتهم إلى وادى الفراشات حتى يتم مهمة سرّية عاجلة ؟ أتكون هذه هى المهمة السرّية التى كُلّف بها ؟ ولكن إذا كان هذا الفرض صحيحاً .. فأين خاله ؟ .. وأين هى هذه القوة البوليسية ؟ ..

وقف الكلب على ساقيه الخلفيتين ، ووضع كفيّه ذات البراثن الحادة على كتفى «عامر» ، ولعق وجهه ! .. ثم نبح فجأة نباحاً عالياً أشبه ما يكون بعواء الذئاب . ولكن «عامر»

لم يعبأ الآن بهذا الصوت الفظيع ! إنه ليس عواء ذئب كاسر كما كان يظنّ . . . بل نباح كلب ودود ! . .

كان هذا النباح إشارة من الكلب ينادى بها على زملائه . فما لبث «عامر» أن رأى فريقاً من الكلاب المشابهة ، وهى تقفز هنا وهناك ، وفوق الصخور تتسلق المرتفع ، حتى وصلت إلى جواره ولما رأت ما يبديه زعيمها «لعامر» من دلائل المودة والحب . . فعلت مثله ! . . .

صحا المغامرون على صوت النباح . ولما لم يجدوا «عامر» بينهم هرعوا مسرعين إلى الخارج يستطلعون مصدر الصوت . وما كادت «عالية» ترى الكلاب السوداء الضخمة وهى تشبّ على كتفى أخيها تلعق وجهه ، وتتمسح به ، حتى صرخت صرخة مدوّية ، وقالت : الذئاب ! ! . . الذئاب تفترس «عامر» ! ! . . لا تخف سنأتى حالاً لنجدتك ! . .

أما «روميل» فقد انزوى مذعوراً فى ركن بالداخل . إنه لم ير فى حياته من قبل مثل هذا التجمّع من الكلاب الضخمة السوداء ! ! . .

ولكن الاطمئنان داخلهم قليلاً ، عندما رأوا «عامر» وهو معافى يبتسم فى وجوههم ، ويقول : لا تنزعجى يا «عالية» ! أنا بخير . . هذه كلاب صديقة مسالمة . . اطمئنى لقد صادقت زعيم الكلاب . . والكلاب الباقية تحذو حذوه ! . .

أخذت «عالية» تعد هذه الكلاب واحداً واحداً ، فوجدتهم عشرة من الكلاب «الوولف» الأصيلة !

عارف : عشرة من الكلاب الأصيلة المدرّبة ، تهيم على وجهها فى الجبل كالكلاب المتوحشة ؟ ! ! . . أليس هذا عجيباً ؟ . . هناك شىء غير عادى يجرى حولنا ! . .

قالت «**عالية**» : والآن . . إذا دخلنا المخبأ سيتبعنا القطيع ليشاطرنا فراشنا ! . . المكان ضيّق ولن يسعنا ! . .

عامر : لنأتى بخيامنا من أسفل وندقها هنا . . مادام لا خوف علينا بعد الآن من الذئاب ! . .

سمارة : هذه فكرة . . والكلاب العشرة حرّة بعد ذلك فى أن تبقى حولنا لحراستنا أو تذهب حيث تشاء ! . .

تطلعت «عالية» حولها فجأة وقالت : لقد نسينا حمارتى وسط هذه الأحداث ! . . أين هى ؟

عامر : لا تقلقى عليها . . ربما ذهبت لتنام بجوار نبع الماء ! وبعد نصف ساعة ، كان المخيّم منصوباً فوق المرتفع . وياله من منظر عجيب حقًّا أن ترى أربعة من المغامرين الصغار فى الجبل القفر ، وقد افترشوا الأرض وسط عشرة من الكلاب السوداء الضخمة ، يلاعبونها ويحاورونها ، وهى تحوم حولهم فى دعة ، تشمشم فيهم بأنوفها الطويلة الحسّاسة ، لتتعرف عليهم الواحد تلو الآخر ! ! . .

وكان «ركس» – وهو الاسم الذى أطلقته «عالية» على رئيس القطيع – يربض بجوار «عامر» لا يفارقه ، وكأنه يعنى : هذا الشاب مِلْكى أنا لا يشاركنى فيه أحد !

ولما غلبهم النعاس ، دخلوا خيامهم وهم يشعرون بالطمأنينة لأول مرة ، واستغرقوا فى نوم عميق .

° ° °

استيقظ المغامرون فى الفجر على صوت الحمارة كان يصدر

عنها صوت أقرب إلى العطس منه إلى النهيق ! . .

قالت «**عالية**» : لقد أصيبت الحمارة بالبرد والزكام نتيجة لنومها فى العراء ! . .

خرجوا من خيامهم لاستقبالها ، وإذا بهم يفاجئون بما لم يتوقعوه ، وصاحوا جميعاً فى صوت واحد : أين الكلاب ؟ ! . .

وقفوا ينظرون إلى بعضهم فى دهشة ؟ أين ذهبت هذه الكلاب ؟ أتراهم كانوا يحلمون ؟ هذا مستحيل . . إذ كيف يحلم أربعتهم حلماً واحداً مطابقاً فى نفس الوقت ؟ ! . .

قال «**عامر**» : هذه الكلاب ليست ضالّة ! لابد أنها تخصّ شخصاً ! . .

سمارة : ولكننا لم نصادف شخصاً أو منزلاً أو كوخاً واحداً فى الجبل ! . .

عالية : ربما كان البوليس يستخدمها فى مطاردة بعض المهربين ! فهى تشم الفريسة على بُعد أميال ! . .

قال «**عامر**» بعد تفكير : آه . . . أعتقد أنى اهتديت إلى

سبب وجودها هنا ! . .

أخبرهم «عامر» أنه يتصوّر هذه الكلاب المدرّبة تخص شخصاً أو أشخاصاً معينين . . وأنهم يطلقونها فى هذه الناحية لإبعاد الناس عنهم . . أو لإخافتهم ! ! . .

قال «**عارف**» : أو لتنذر أصحابها بوجود المتطفلين أمثالنا ! . .

عالية : هذا فرض محتمل . . ولكن المهم . . هو ماذا تحرس هذه الكلاب ؟ ! . .

عامر : هذا هو اللغز الذى يحيّرنى ! . . فلا شىء هنا يستحق الحراسة بعشرة من الكلاب الثمينة . . فى هذا البلقع ! ! . .

وبعد مناقشة مستفيضة ، لم يصلوا إلى الكشف عن هذا الإبهام . فآثروا عدم التفكير فى ذلك مؤقتاً ، واتفقوا على أن يفتحوا عيونهم جيدًا على كل شاردة وواردة . . علّهم يميطون اللّثام عن هذا اللغز ! . .

قالت «**عالية**» : والآن سأحمل بعض الأوانى على ظهر



انفرجت الشجرة عن وجه آدمى . . ولكن ياله من وجه غريب .

الحجارة لأغسلها لكم فى النبع القريب .

وهناك ركعت على ركبتيها تستظلّ بشجرة وارفة تنمو داخل النبع ، وعلى مسافة قصيرة من حافته وما كادت تبدأ فى الغسيل ، حتى لفت نظرها صوت حفيف عالٍ يصدر من فوق رأسها ! ! . .

توقفت «عالية» قليلاً ، ونظرت إلى أعلى . . فلم تر شيئاً فى بادئ الأمر فلم تأبه بذلك . . لعلّها حمامة مسالمة . . أو عصفور وديع يبنى عشه !

وعندما تكرّر الحفيف عاودت النظر . وإذا بها تصاب بصدمة كادت تهوى بها فى النبع ! وسقطت الآنية من يديها فى الماء !

انفرجت فروع الشجرة عن وجه آدمى ! ولكن ياله من وجه غريب ! . . كان هذا الوجه أسود من ظلمة الليل الحالك ، ذا شفتين غليظتين ، وفم يفترّ عن ابتسامة عريضة . يضيئها صفّان من الأسنان الناصعة البياض !

أصاب «عالية» الذعر ، وجلست بلا حراك على حافة

النبع ، وأخذت تدمدم لنفسها قائلة : أسْوَد ! . . أسْوَد ! . . الآن فهمت ماذا كان يعنيه «عجلان» . . . لا شك أنه كان معذوراً . . فقد ظنّه عفريتاً ! . . يا إلهى ! . . ماذا يفعل هذا الزنجى فوق الشجرة ؟ ! . . وماذا سأفعل أنا الآن ؟ . . لقد هلكت ! . . .



الزنجى «مسعود»

نظر إليها الرجل ذو الوجه الأسود اللامع ، والشفاه الغليظة ، والأسنان البيضاء الناصعة ، والأنف الأفطس ، وعلى وجهه ابتسامة مشرقة . ثم وضع أصبعه على شفتيه الغليظتين .

مسعود

وهمس لها أن تصمت ! ! . .

هبط الزنجى من فوق الشجرة فى لمح البصر ، ووقف بجانب «عالية» . التى تسمرت قدماها فى الأرض . .

قال «**الزنجى**» : أستحلفك يا فتاتى أن تصمتى . . وإلاَّ اكتشفوا مكانى ! ! .

سكتت «عالية» ، وقد كان بودّها لو نادت على إخوتها لنجدتها من مأزقها . ولكن النطق استعصى عليها !

أخذ الزنجى يهدئ من روعها ، وهو يقول لها : صدقينى يا فتاتى . . لقد أرسلتكم العناية الإلهية لإنقاذى ! اذهبوا بعيداً عن هذا الجبل المشئوم . . فهو مملوء بالأسرار والأشرار ! ! . .

وأخيراً هدأت نفس «عالية» واطمأنت إليه قليلاً . فقالت : وأنت . . ما اسمك ؟ . . وماذا تفعل هنا ؟ وما الذى أدراك بما يجرى فى هذا الجبل ؟

الزنجى : اسمى «مسعود» . . وأحاول الفرار من هؤلاء الأشرار . . ولكن أين المفرّ ؟ ! . . فالكلاب المتوحشة تتعقبنى ! !

تركته «عالية» بغتة ، وقفزت على ظهر حمارتها ، وجرت بها بأقصى سرعتها نحو المخيّم . . وما إن رآها «عامر» حتى صاح : ماذا بك يا «عالية» ؟

عالية : أسود ! . . أسْوَدُ من الليل !

عارف : أسْوَد ! . . نفس الشىء قاله «عجلان» ! ما الخبر ؟ ! . .

عالية : رجل زنجى ! رجل أسود !

ولما هدأت «عالية» قصّت عليهم بسرعة ما حدث لها مع الزنجى ، وما جرى بينهما من حديث . .

استمع إليها المغامرون فى دهشة ! . ما هذا الذى يجرى حولهم ؟ . . زنجى يختبئ فوق شجرة ؟ ! . . ويفرّ من الكلاب المتوحشة ؟ ! . . والجبل المملوء بالأسرار والأشرار ؟ ! . .

قال «**عامر**» : هلمّ بنا نسأله ! . إن أحداثاً خطيرة تدور حولنا فى هذا الجبل ! . .

عالية : يجب أن نستخلص بعض المعلومات من «مسعود» ، لنزوّد بها خالنا «ممدوح» عند قدومه . .

ولكن عندما وصلوا إلى الشجرة ، لم يجدوا أثراً «لمسعود» !

عالية : أين اختفى هذا الرجل ؟ لقد رأيته وحدثته بنفسى ! . .

عامر : خاف وهرب ! كان يجب عليك أن ترافقيه حتى

المخيم . .

سمارة : «مسعود» ذكى . . لقد اختبأ فوق هذه الشجرة . . . والشجرة تنبت داخل الماء ! . . ولذلك فقدت الكلاب أثره فالكلب لا يشم الأثر فى الماء !

عالية : مسكين «مسعود» ! . . سوف يكتشفه «ركس» مرة أخرى وهو يفرّ على اليابسة . . وينهشه ! . .

بحثوا عن «مسعود» طويلاً دون جدوى . لقد اختفى تماماً كأن الأرض انشقّت وابتلعته ! ولما انتابهم اليأس رجعوا إلى مخيمهم ، وجلسوا يتناقشون فى لغز «مسعود» !

قال «**عامر**» : ماذا يأكل هذا الرجل ! لابد أنه يأكل شيئاً وإلاّ مات جوعاً ! . . ولكن لا طعام ينبت فى هذا الصخر !

عارف : هل تظنّون أن «مسعود» يصدق فى كلامه ؟ وأن الجبل يمتلئ حقيقة بالأشرار؟ إننا لم نر أحداً منهم ! ! . .

عالية : أعتقد أن «مسعود» صادق فى كلامه . . لقد

صارحنى بالحقيقة ! . . .

تعجّب المغامرون من تصريح «عالية» ! فسألها «عامر» : ماذا تقصدين يا «عالية» بقولك هذا ؟

قالت «**عالية**» : وهى تبتسم فى مكر ودهاء : أقصد أنه مادامت هذه الدمدمة وهذا الهدير يصدران من هذا الجبل فهو ليس كاذباً فلمن تكون ؟ !

سمارة : قد يكون ذلك بفعل زلزال خفيف !

عالية : أو قد يكون بفعل إنسان ! ! ! . . . ولماذا لا ! . . هذا قول محتمل ومعقول ! ! . . ألا يجوز أن يحتوى هذا الجبل على منجم مثلاً . . وأن «مسعود» يعمل فيه !

ولكن إذا جاز هذا الفرض ، فلماذا يترك «مسعود» عمله بالمنجم ويفرّ مذعوراً ! . . وما علاقة الكلاب البوليسية المدرّبة بالمنجم ؟ وأين هى الطرق ووسائل النقل التى تحمل خاماته إلى العمران . .

عارف : أمامنا لغز غامض لا نجد له حلاً .

عامر : قل أمامنا مغامرة جديدة ! . .

قالت «**عالية**» ضاحكة وما الجديد فى هذا ؟ إننا تعوّدنا على ذلك ! . .

وعلى حين غرّة صمتت «عالية» ، وأخذت ترهف بسمعها الحاد . كما توقّف «روميل» عن الحركة . . وكان يحوم حول الحمارة يشاكسها ، وبدأ يهمهم ويزوم ! . .

قال «**عامر**» : ماذا جرى ؟

عالية : ألا تسمعون معى ؟ . . الصوت خافت جدًّا ولكنى أسمعه بوضوح ! . .

بدأ الصوت المعهود يعلو رويداً رويداً وهو يخرج من باطن الجبل . ولكنه كان يختلف عن المرات السابقة ، فقد كان يصحبه صوت زفير عالٍ متقطّع ! .

ألقت «عالية» ببصرها إلى ناحية بعيدة من الجبل ، وأشارت إليه بيدها ، وصاحت قائلة :

– انظروا معى ! . . . إن الجبل يتنفّس ! ! ! . .

كان ما رأوه كافياً لأن يصيبهم بالذهول . فظلّوا هكذا لفترة طويلة وهم لا يقوون على الكلام ! . .

كان الدخان الملّون بأصباغ مختلفة يندفع متقطعاً من فتحات ضيّقة فى حائط الجبل ! .. وكان صوته يقرب من صوت وحش عملاق يحتضر ! .. وصورته تحاكى قوس قزح فى بهائه ورونقه ! ..

همس «**عامر**» لهم : هذا عجيب ! .. فالجبل يتنفّس كما ذكرت «عالية» ! ...

عارف : هناك منفذ أو متنفّس داخل الجبل ينصرف منه هذا الدخان !

سمارة : تقصد مدخنة ! ..

عالية : ليس هذا هو بيت القصيد ! .. ما يهمّنا هو مصدر الدخان ! ! ..

أيكون هذا الدخان هو مصدر الدمدمة التى تهزّ الجبل ؟ ربما ! .. وقد تكون أيضاً ظاهرة طبيعية .. ! أو عملا من فعل الإنسان ! ! .. إنهم عجزوا عن تفسير هذا اللغز !

وما علاقة الدخان الملّون بالزنجى الهارب ! .. أو بالكلاب البوليسية التى تتجوّل بحرّية فى أرجاء

الجبل ! ..

قال «**عارف**» : لو حضر خالنا «ممدوح» لتمكّنا بمساعدته من اقتحام الجبل .. والكشف عن سرّه !

عالية : أو لو وضعنا يدنا ثانية على «مسعود» ! لاشك أنه يعرف الكثير ..

عامر : من يعلم ؟ فقد نلتقى به مرة ثانية ! .

° ° °

رأى المغامرون أن يجدّوا فى البحث عن «مسعود» فى أرجاء الجبل .. فهو مفتاح السّر ! .. إنهم لا يهابون الكلاب الآن ! بل على العكس كانوا يرحبّون برؤيتها ، ويتطلّعون إلى لقائها . قال «**عامر**» : ولكن هناك احتمالاً أن يصل خالنا .. فيجد خيامنا خاوية . فيظن أننا تُهنا فى الجبل ! ...

عالية : عندى فكرة ! نترك له رسالة مكتوبة نعلّقها فى رقبة الحمارة ! ! ..

عامر : هذه فكرة هائلة يا «عالية» ...

وبعد أن حرّر «عامر» الرسالة ، علّقها فى رقبة الحمارة وقيدها من ساقها فى وتد الخيمة . ثم غادروا المعسكر على أمل أن يعودوا إليه ظهراً ومعهم «مسعود» ! . .

كان «روميل» يتحسّس الطريق بأنفه ، والمغامرون يتبعونه عن كثب . إلى أن وصلوا إلى سهل يشبه الوادى الصغير ، تنبت فيه بعض الأشجار .

رأى «عامر» أن يتسلّق شجرة ليستكشف منها الوادى بمنظاره . صوّب المنظار إلى الجبل ، فلم يجد شيئاً يلفت نظره ، بعد أن توقف تصاعد الدخان الملوّن ! ثم جال بنظره فى أنحاء الوادى ففوجئ بما استرعى انتباهه ، وجعله يصيح على إخوته : تسلّقوا الشجرة حالاً . . أسرعوا ! . . أرى الكلاب تتبع «مسعود» . . والمسكين يسابق الريح أمامها ! . .

وفى طرفة عين . . كانوا يجلسون بجوار «عامر» على الأفرع المتشابكة . وبعد برهة مرق «مسعود» من تحتهم وهو يجرى كالرهوان . . والكلاب تتبعه كظلّه عن بعد ، وهى

تنبح نباحاً مخيفاً ارتجّ له فضاء الوادى ! . .

أخذ «**عامر**» يصف لهم المطاردة المثيرة ، وهو يتتبّعها بمنظاره فقال : إن سرعته خارقة . . ولكن الكلاب تكاد تلحقه . . لقد توقّف تحت شجرة . . ها هو ذا يتسلّقها . . الكلاب تحيط الآن بالشجرة كالحلقة . . وهكذا سيظلّ فى مكانه حتى يستسلم ! ! . .

قالت «**عالية**» إنى أرثى لحاله . . ناد على «زكس» يا «عامر» لتفكّ أسر «مسعود» ! . . الكلاب سوف تطيعك . . وهذا أقل ما يجب أن نفعله لهذا المسكين ! . .

أخذته النخوة والشجاعة ، ورأى أن يلبّى رجاء أخته ، فهبط من فوق الشجرة ، وسار بحذر يتبعه «روميل» إلى حيث يقبع «مسعود» فوق الشجرة !

ولكن قبل أن يصل «عامر» إلى هدفه ، شعر بيد غليظة تهوى على كتفه كالمطرقة ، وتغرز أصابعها فى لحمه . حاول التخلّص من هذه القبضة الفولاذية بكل قواه . . ولكن هيهات ! . .

التفت «عامر» خلفه فرأى رجلاً دميماً، له نظرة الصقر، لا تنبت فى رأسه شعرة واحدة! فاستعاذ بالله من هذا الوجه القبيح ذى التعبير القاسى. إن مثل هذا الرجل يتعذّر خداعه.. ولكن فليجرّب!!

تظاهر «عامر» بالبراءة، وسأله: ماذا تريد؟

ضحك الرجل ضحكة شيطانية أظهرت أنيابه الصفراء. وصرخ فى وجهه: عال!.. عال!.. أنت الذى تسألنى؟!.. قل لى ماذا تفعل هنا؟

عامر: جئت وحدى للبحث عن فصيلة معينة من الفراشات!..

الرجل القبيح: مَنْ معك؟ اعترف!

عامر: أنا وحدى كما ترى!..

الرجل القبيح: لو صادفتك كلابى لافترستك أنت ومن معك!..

عامر: آه.. تقصد أنا و«روميل» كلبى العزيز!.. والآن دعنى أذهب لأبحث عن فراشاتى!..

الرجل القبيح: من أين أتيت؟

أشار «عامر» بأصبعه إلى الأفق البعيد، وأجابه: من هناك!!..

الرجل القبيح: قل هذا الكلام لغيرى!.. والآن ستأتى معى.. لقد رأيت أكثر مما يجب!!..

قال هذا ونفخ فى صفارة صغيرة ذات صوت مميّز. فما لبث «عامر» أن رأى الكلاب تجرى نحوه، وتلتف حوله.. وتقبع على الأرض ساكنة بلا حراك!..

كانت الكلاب وعلى رأسها «ركس» تنظر إلى «عامر» نظرة خاصة، كانت تحنو إلى التودّد إليه.. والتمسح فيه. ولكنها لا تجرؤ على ذلك من غير إذن صاحبها وأمره!..

الرجل القبيح: هذه كلابى درّبتها بنفسى.. وهى تطيعنى طاعة عمياء.. وتنفّذ أوامرى بحذافيرها.. فاحذر!!..

وبعد قليل.. شاهد «عامر» الزنجى «مسعود» وهو يقبل نحوهما.. رافعاً يديه فى استسلام!..

الرجل القبيح : حسناً فعلت أيها الشقى ! وإلا فكنت ستموت جوعاً وعطشاً وكلابى تحاصرك ليل نهار فوق الشجرة . . . الويل لك منى !

سار «مسعود» مطأطئ الرأس فى ذلّة . وتبعه الرجل القبيح وهو مازال يطبق على كتف «عامر» بقبضته الفولاذية .

أمّا إلى أين ؟ فهذا ما كان يحار له «عامر» وإخوته الذين كانوا يشهدون مأساته من فوق الشجرة القريبة . .



الفرج من السماء !



سمارة

مرّ الرجل القبيح أسفل شجرة المغامرين ، وتحت بصرهم ، وهو مازال يقبض على كتف «عامر» و«مسعود» الزنجى المغلوب على أمره يسير أمامه فى المقدمة . ظهر «مسعود» أمامهم الآن بوضوح ، فإذا به عملاق مفتول العضلات عريض المنكبين ، لو مارس فن الملاكمة لفاز بالبطولة العالمية ! . . وكان هذا الموكب يتقدّم فى حراسة الكلاب العشرة . .

همس **عارف**» فى آذانهم : لا تأتوا بأية حركة ! . . وإلاّ انضممنا إلى هذه المسيرة ! . . لا فائدة ترجى من أسرنا مع «عامر» ، بل يمكننا أن نطلق سراحه ونحن أحرار ! . .

عالية : لا خوف على «عامر» ! فهو يسير فى رفقة عشرة من الأصدقاء الأوفياء ! إن الكلاب تنصاع لأوامر هذا الرجل الشرير ، ولكنها لن تؤذى «عامر» ! ! . .

وكم كان «عامر» يتمنى أن ينظر إلى إخوته ، فقد تكون هى نظرة الوداع الأخيرة ! ولكنه آثر ألاّ يفعل ذلك حفظاً على سلامتهم ! . . إذ قد تكشف هذه النظرة الأخيرة عن مخبئهم ! . .

ومن الغريب أن الكلاب أدركت بغريزتها هذه الحقيقة أيضاً ! . . فأسرعت من خطاها وهى تمرّ تحت الشجرة . متجاهلة وجود المغامرين ! ! . . مع أنها شمت رائحتهم ولمحتهم فوق الفروع ! . .

تابع «عارف» بمنظاره سير الموكب ، الذى كان يتجه ناحية الجرف الصخرى للجبل . .

تعجّب المغامرون من ذلك ! . . إذ أن هذا الجرف لم يكن سوى حائط أملس يستحيل تسلّقه ! فإلى أين يذهب هذا الشرير بأخيهم «عامر» ؟ ! . . آه لو كانوا يعلمون ! .

لذهبوا توًّا لإنقاذه . .

وفجأة اختفى الموكب بمن فيه ! ! . . حتى الكلاب تلاشت !

هذا غير معقول ! كانوا أمامهم هناك منذ لحظة . . ولكنهم اختفوا عن بصرهم فى اللحظة التالية ! ! . . .

قالت «**عالية**» وهى فى أشد حالات الاضطراب : ماذا ترى يا «عارف» ؟ ماذا حدث «لعامر» ؟

عارف : أظنهم أدخلوه الجبل ! ! إنى لا أفهم كيف ؟

سمارة : هل دخل «روميل» معه ؟

عارف : أعتقد ذلك . . فقد كان يلازمه طول الوقت . . وقد ألفته الكلاب العشرة أيضاً وصاحبته ! . .

سمارة : لنعود إلى المخيّم فى ضوء النهار . . لا فائدة من وجودنا الآن فوق الشجرة ! . .

عالية : أرجو أن يكون خالى قد وصل وعثر على رسالتنا مع الحمارة ! . .

كان الظلام قد حلّ عندما وصلوا مخيّمهم ، فاستقبلتهم

الحمارة بالنهيق المتواصل . . والرسالة لا تزال تتدلّى من رقبتها ! . .

ابتدأ القلق الشديد يساورهم من تأخر «ممدوح» . ماذا حدث له يا ترى ؟ أيكون قد ضلّ مثلهم فى متاهات الجبل ؟ وأنه الآن فى حاجة إلى نجدتهم . . كما هم فى حاجة إلى نجدته ؟ . .

ولم يكن هناك داع لإيقاد النار . فهم لا يخشون أشباح الذئاب السوداء هذه الليلة ! . . إنهم يرحّبون بأى مخلوق يظهر لهم فى الظلام . .

جلست «عالية» بجوار باب خيمتها وهى مهمومة مغمومة لمصير أخيها «عامر» الغامض . عندما التقطت أذناها فجأة صوتاً غير مألوف لديها ! فقالت : أتسمعان ! إنى أسمع صوتاً يأتى هذه المرّة من السماء . . وليس من داخل الجبل . . أو تحت الأرض !

تزاحموا على الصخرة المسطّحة ، ووقفوا عليها يتطلّعون فى لهفة إلى السماء فى ضوء القمر الساطع . .

قالت «**عالية**» : ياله من صوت غريب ! إنه يشبه أزيز الطائرة !

عارف : ولكنه ليس طائرة ! ! فكلّنا يعرف صوتها . وهذا الصوت يختلف !

سمارة : هذا الصوت يشبه صوت ماكينة خياطة ضخمة !

إذن ماذا يكون هذا الصوت العالى المتقطّع ! ! . . أهو طبق طائر ! ! . .

عالية : طائرة أو لا طائرة . . ربما كان الفرج يأتينا من السماء ! . . سنشعل ناراً ضخمة لتدلّ على مكاننا ! . .

° ° °

أشعل المغامرون كومة كبيرة من الحطب ، كان لهيبها يرتفع عالياً ، ودخانها يصعد حتى عنان السماء . وكان كلّما ازداد اشتعال النار ، قرب منهم صوت الفرقعة ، حتى كاد يصم آذانهم .

وإذا بطائرة «هيليكوبتر» صفراء اللون تظهر لهم قريباً فى السماء .

أخذت الطائرة تحوم وتدور وتناور فوق رؤوسهم ، والمغامرون يهللون ويصيحون وينادون عليها . ولكن كانت أصواتهم تضيع وسط ضجيج مراوحها العملاقة ! . . إلى أن توقّفت الطائرة فى الجو على بُعد قليل منهم . . وكأنها قمر يتوسط كبد السماء .

ثم فُتح بابها وأطلّ منه رأس «ممدوح» ! ! . .

كانت المفاجأة أكبر من أن يتوقعها المغامرون ، حتى كاد يغمى عليهم من الفرح . . إنهم لا يصدّقون أنفسهم ! ولكن ها هو ذا خالهم بعينه معلّق أمامهم ما بين السماء والأرض . .

إن طاقة القدر لو فُتحت لهم . . لما طلبوا أكثر من ذلك ! . .

كان «ممدوح» يحمل فى يده مكبراً للصوت ، حتى يصل حديثه إليهم . وكانت نبرات صوته واضحة وهو

يقول لهم : وأخيراً عثرت عليكم أيها الأشقياء . . لقد دوّختمونى ! ! . .

وزادت دهشتهم ، واكتملت سعادتهم عندما شاهدوا سلّماً طويلاً من الحبال يتدلّى من الطائرة . وعندما لامس الأرض الصخرية المسطحة ، هبط عليه «ممدوح» كلاعب أكروبات ، وكأنه يهبط سلّم منزله ! . .

أغمضت «عالية» عينيها وأدارت وجهها ، خوفاً من أن يصيب خالها الأذى . ولكن «عارف» طمأنها قائلاً : لا تنسى يا «عالية» أن خالنا تدرّب على هذه الأعمال فى مناورات الجيش ! . .

تلقته «عالية» بالأحضان وهى تبكى من الفرح ، ولم تكن قدماه قد لامستا الأرض بعد . . وبادرته قائلة : إلحقنا يا خالى . . . «عامر» فى خطر . .

لوّح «ممدوح» بيده إلى قائد الطائرة ، فبدأت تتحرك فى السماء ، واطردت سرعتها قليلاً قليلاً حتى اختفت عن الأنظار . .

صاحت «**عالية**» : أتتركنا الطائرة هنا ؟

ممدوح : ستعود لنا باكر ظهراً وهى محملة بقوة من جنود السواحل ! تقولين إن «عامر» فى خطر ! ماذا حدث له ؟ . . وأين هو الآن ؟ . .

عارف : أخذه الرجل الشرير معه داخل الجبل ! . .

سمارة : ومعه الزنجى «مسعود» ! . .

عالية : والكلاب العشرة . .

ظهرت إمارات الدهشة على وجه «ممدوح» واعتقد أنهم يداعبونه ، وقال : الشرير ! والزنجى ! والكلاب العشرة ! ! ما هذا ؟ أهى مغامرة جديدة ؟ !

عارف : هى كذلك . . بل ربما فاقت مغامراتنا السابقة خطورة ! . . .

ثم أخذ «عارف» يسرد على مسامعه قصتهم بالتفصيل ، منذ أن فر «عجلان» بحميره . . حتى اختفاء «عامر» و«روميل» و«مسعود» فى الجبل ! . .

أنصت إليه «ممدوح» باهتمام بالغ . وظهرت على وجهه

علامات الصرامة والجدية . وقال : نعرف منذ زمن أن هناك شيئاً خطيراً يجرى فى متاهات جبل «عتاقة» . وكنا كلما مسكنا بطرف الخيط . . انقطع منا قبل أن نصل إلى نهايته ! . .

عارف : نحن على يقين من أننا نمسك هنا بطرف خيط جديد !

عالية : ونهايته يمسك بها «عامر» داخل الجبل !

ممدوح : أعتقد ذلك : ومهمتنا الآن هى العثور على «عامر»

سمارة : يبدو أن المسألة أخطر مما كنا نتصوّر ! ! . .

ممدوح : هى كذلك . . وإذا نجحنا فيها تكونون قد قدمتم خدمة جليلة لبلدكم . . لا تقدّر بثمن ! . .

عارف : ومتى سنبدأ بحثنا عن «عامر» ؟

ممدوح : بعد أن تصل الهيليكوبتر باكر . ستحمل لنا قوة مسلحة . . ومعها «عنتر» ! . .

عالية : من هو «عنتر» ؟ أهو قائد القوة ؟

ضحك «ممدوح» ملء شدقيه ، وأجابها !

– أنا قائد القوة . . أما «عنتر» فهو أشهر الكلاب البوليسية فى مصر ! . . .





كشف السّر ! . .



العقيد «ممدوح»

كانت «عالية» تتلهّف على البحث عن أخيها «عامر» مهما كلّفها الأمر. فأخذ «عارف» يهدئ من اندفاعها وحماسها ، قائلاً لها إن المسألة تحتاج إلى قليل من الحيطة والتروّى .



وهنا تدخّل «ممدوح» وقال : إنقاذ «عامر» فى حاجة إلى تخطيط محكم ، وبقوّة كبيرة مستعدة ، وإلا أصابه ضرر بليغ ، واستغلّته العصابة كرهينة فى يدها . أما القبض على العصابة فيأتى فى المقام الثانى !

سمارة : ولا فائدة من البحث عنه الآن فى الظلام على كل حال !

عارف : وفوق ذلك نحن لا نعرف بالضبط أين اختفى ! ! . .

ممدوح : ليس أمامنا إلا انتظار وصول القوة والكلب «عنتر» حيث نبدأ الهجوم على الجبل فى وضح النهار ! .

رضخت «عالية» إلى مشورة خالها . فلم يكن أمامها خيار . ودخلت إلى خيمتها لتأخذ قسطها من الراحة ، انتظاراً لمخاطرة اليوم التالى العصيبة .

اقترح «ممدوح» على «عارف وسمارة» أن يتناوبوا الحراسة فيما بينهم كل ساعتين . وذلك تفادياً للمفاجآت ! ! . .

جلس «عارف» بجوار الحمارة فى أول نوبة للحراسة . كان يشعر بالتعب والإرهاق . فأخذ يداعب الحمارة ويحدثها قتلاً للوقت . ولطرد النوم حتى لا يغمض له جفن . وكان يتطلع دوماً ناحية الجبل الذى بداخله «عامر» . حتى تعوّد نظره على الظلمة .

وبعد مرور ساعة . مضت عليه كأنها دهر ، خيّل إليه أنه يرى أشباحاً تتحرك فى السهل الصخرى . فلم يصدّق نفسه .

وأخذ يفرك عينيه ليتأكد من أنه ليس فى حلم .

بدت الأشباح له الآن واضحة ، وهى تتحرك فى اتجاهه بسرعة خاطفة . ولما وصلت أسفل المرتفع الذى يعسكرون فوقه . وجد أنها لشبحين اثنين لا غير ! . .

كاد «عارف» أن يدخل على خاله فى طلب النجدة ، لولا أن وصله صوت «عامر» وهو يصيح عليه :

– أهذا أنت يا «عارف» ؟ لا تخش شيئاً ! أنا «عامر» ومعى «مسعود» ! ! . .

بُهت «عارف» وأصابته نوبة عارمة من جنون الفرح . فأخذ يصرخ بهستيرية وهو يردّد : «عامر» ! ! . . «عامر» . .

هبّ «ممدوح» من نومه وخرج إلى العراء ، وتبعته «عالية» ثم «سمارة» ليستطلعوا سبب هذه الضجة !

صرخت «**عالية**» فزعة ، وهى تقول : ماذا حدث «لعامر» هل أصابه سوء ؟ . .

وصل «عامر» والزنجى «مسعود» ومعهما «روميل» فى

هذه اللحظة ، وقال وهو يضحك : نحن بخير يا « عالية » . .

قال هذا وجلس على الأرض وهو يلهث . فقد قطع المسافة من الجبل حتى المخيّم ، وتنوف على الميل طولاً ، بأقصى ما فيه من قوة ! أما « مسعود » فكان يقف بجواره كالمارد ، وهو يبتسم لهم .

° ° °

أشعلوا النار اتقاء لبرد الليل والتفّوا حولها ، بعد أن طار النوم من أجفانهم . وكان « عامر » يقصّ عليهم محنته داخل الجبل .

قال « **عامر** » : ساقنا الرجل الشرير ، وينادونه باسم « فرعون » ، فى حراسة الكلاب حتى وصلنا إلى حائط الجبل الصخرى .

عالية : تتبّعناك بالمنظار حتى الجبل . . وهناك اختفيت !

عامر : كانت الكلاب تظهر لى المودّة والعطف فى غفلة من « فرعون » ، وخاصة « ركس » ! فاندهش « مسعود » ، لأنه كان لا يعهد فيها إلا الشراسة والوحشية ، والانقياد

الأعمى لأوامر « فرعون » ! ! . .

عارف : كيف دخلتم ؟ نحن لم نكتشف أى مدخل بمنظارنا ! . .

عامر : هناك شق ضيّق أسفل الجبل تخفيه شجيرة ؟

عالية : ولذلك لم نتمكن من رؤيته . .

عامر : ولما دخلت منه . . فوجئت بأن الجبل أجوف ؟ ؟ . .

عارف : تقصد مغارة ؟

عامر : تقريباً ! . . ولكنها ليست مغارة طبيعية ! ! . .

ممدوح : تعنى أن العصابة هيّأتها لتكون مقرًّا لعملها !

مسعود : لقد أحضر « فرعون » وعصابته آلات حفر حديثه ! وجهّزها بعد ذلك بماكينات الطباعة والألوان . . وكنت أعمل فيها ليل نهار كعمال السّخرة !

ممدوح : تعلم المخابرات جيدًا ما بداخلها ! ! ولكن لم يكن من السهل اكتشاف موقعها الذى أخفته العصابة بمهارة !

عالية : ماذا يطبعون فى هذه المطبعة ؟ ! إنه بالتأكيد عمل غير شرعى

ممدوح : طبعاً إنه عمل غير شرعى وخطورته فى أنه يضر باقتصاد مصر ! ! . . هذه أخطر عصابة لتزييف النقد ! . . المصرى والأجنبى . . لقد أغرقوا السوق بنقودهم المزيفة المتقنة !

عامر : لقد شاهدت الماكينات بنفسى !

عالية : وهذا صوتها كنا نسمعه يخرج من باطن الجبل !

عامر : تماماً . . والدخان الملوّن يخرج من مراجل الألوان المستعملة فى طباعة النقد وتلوينه ، عن طريق « هوّايات » فى جدار الجبل ! . .

عارف : وماذا حدث بعد ذلك ؟

عامر : أدخلونا فى مكان أشبه بحجرة محفورة فى الصخرة ثم أتى « فرعون » بكلابه وأصدر لها أوامره المشدّدة بحراستنا !

عالية : هذه أكبر غلطة ارتكبها « فرعون » ستكلّفه حياته ! وهذا من حسن حظنا . .

عامر : هو كذلك ! فما كاد « فرعون » وأعوانه ينصرفون إلى النوم مطمئنين ، حتى دخل علينا « ركس » وهو يهز ذيله فرحاً . وتبعته الكلاب واحداً وراء الآخر ! !

عالية : برافو « ركس » ! وماذا فعلت بعد ذلك ؟

عامر : أخذت أربت على رؤوس الكلاب ، وألاغيها بالحديث ولكنها كانت تكشّر عن أنيابها « لمسعود » وتزمجر فى وجهه ! . .

عالية : مسكين « مسعود » ! لابد أن ركبتيه كانتا تصطكّان من الذعر ! . .

مسعود : طبعاً . . فقد قاسيت منها كثيراً . . ومازلت أحمل آثار مخالبها على جسدى ! . .

عامر : ففكّرت فى أن أتحدث إلى « مسعود » . . وأن أضع ذراعىّ حول رقبته . . لكى أشعر الكلاب بأنه صديق ! حتى نجحت أخيراً فى إقناعها بذلك ! ! . .

ممدوح : هذا غريب لم يحدث من قبل . . من مثل هذه الكلاب المدرّبة ! ! . .

عالية : ولكنك لا تعرف «عامر» يا خالى ! ! . . الحيوانات كلها تحبّه . . ويجذبها إليه كالمغناطيس ! . .

عامر : تسلّلنا بعد ذلك إلى الخارج فى حراسة «ركس» ، وها نحن الآن أمامكم ! . .

ممدوح : فقط كان يجب أن تأتى بالكلاب معك ! فالعصابة بدون هذه الكلاب . . كالجندى الأعزل بغير سلاح ! . .

عامر : حاولت ذلك . . ولكنى أخفقت . . فقد رفض «ركس» وزملاؤه مغادرة المكان ! . . .

° ° °

نام «فرعون» وهو قرير العين بعودة «مسعود» . فهروبه كاد يعنى كشف سرّ العصابة والقضاء عليهم جميعاً . ولكنه كان فى الوقت نفسه يتعجّب لوجود «عامر» وحده فى هذا المكان ! إنه لا يصدّق أن شابًّا فى مثل سنّه يجوب هذا الجبل الموحّش وحيداً مع كلبه ! . . وحجّته فى ذلك اصطياد الفراشات ! ! . . أهل هذا معقول ؟ ! . . كيف وهو نفسه

لم يشاهد فراشة واحدة فى هذا الوادى الفسيح ! . . على كل حال لا خطر عليه من مثل هذا الشاب الصغير !

ذهب «فرعون» ليطمئن على أسيريه عندما استيقظ فى الصباح . فاطمأن قلبه عندما وجد الكلاب تسدّ عليهما الطريق ! يالها من كلاب ماهرة ! . . ألم يتعب كثيراً فى تدريبها ؟ .

أطلّ برأسه داخل الحجرة . . وهناك كانت تنتظره مفاجأة العمر ! ! . .

كانت الحجرة خالية ! ! لقد تبخّر الأسيران فى الهواء ! كيف اخترق هذان الشقيان خطّ الحراسة المحصّن بكلابه ؟ ؟ . هذا لغز وقف أمامه حائراً ! ولكنهما لن يتمكنا من الفرار بعيداً . . والويل لهما عندما يلحق بهما بكلابه . . سيعود بهما فوراً . . ولن يبقى على حياتهما بعد ذلك دقيقة واحدة ! . .

ولم تمض خمس دقائق ، حتى كان «فرعون» وأعوانه الثلاثة فى أثر الهاربين ، تقودهم الكلاب العشرة !

ولم تكن للكلاب حاجة بشمّ أثر «عامر» ! فهى تعلم جيدًا أين مخبؤه ! .. لقد زارته من قبل .. هو وهؤلاء الصغار الذين أظهروا لها كل مودّة وعطف وحبّ ! ! ..



الحب يغلب الكراهية ! ..



فرعون

أسرعت الكلاب الخطى . و«فرعون» وعصابته يلهثون وراءها . وهم بالكاد يلحقونها ! ظنّ «فرعون» أن كلابه المخلصة تتلهف على القبض على الأسيرين . فكان يشجعها . ويصدر لها الأوامر بشدة وقسوة ! .

ولكنه لم يدرك أن كلابه كانت تتلهف فى الحقيقة لقاء الأصدقاء الصغار الجدد ! كانت الكلاب فى حاجة إلى تلك الأيدى الصغيرة تربتها . وتهمس فى آذانها بكلمات العطف والحنان !

وفى الساعة السابعة صباحا . وصل نباح الكلاب .

وصوت صفارة «فرعون» إلى آذان المغامرين وهم يتناولون إفطارهم !

نهض الجميع يتطلّعون إلى مصدر الصوت ، فيما عدا «مسعود» الذى دخل الكهف الصغير ليحتمى فيه . لقد حمد الله على نجاته من هذه الكلاب . . وها هى الآن تتبعه من جديد ! . .

أسرع «ممدوح» وأخرج مسدسه ، وقال : ها قد وصلت العصابة والكلاب ! كنت أفضّل أن نباغتها فى وكرها !

عالية : لا تخف من الكلاب يا خالى ! إنها مسالمة ! . .

ممدوح : ولكن «فرعون» معها ! سوف تنصاع لأوامره ! . .

عالية : لا تخش شيئاً . . لقد صاحبناها . . ودع هذه المسألة «لعامر» ! ! . .

ممدوح : ولكن لا أنا ولا «مسعود» صاحبناها . .

عامر : هيّا لنلحق «بمسعود» فى الداخل . . الخوف من العصابة . . وليس من الكلاب ! . .

ممدوح : الأمل ضعيف فى النجاة . . فلست أجرؤ على استعمال مسدسى خوفاً من إصابة أحد هذه الكلاب الأصيلة الصديقة !

دخل الجميع إلى المخبأ الصخرى الصغير ، ووقف «عامر» يسدّ فتحته الضيّقة . .

وصلت الكلاب يقودها «ركس» ، فخرج إليها «عامر» يستقبلها ببشاشة . وما كاد «ركس» يلمحه ، حتى هرع إليه يحوم حوله ، ويلعق كفّيه ، ويهز ذيله ، ويزوم من فرحة اللقاء . . وسرعان ما انتشرت حوله باقى الكلاب ، كل منها يريد أن يقتدى «بركس» .

وكان «عامر» يقف على المدخل يسدّه ليمنع الكلاب من الدخول فهى لم تأنس بعد لخالهم «ممدوح»

وعندما شعر «عامر» بوقع أقدام «فرعون» ورجاله ، أشار إلى «ركس» بعدم الحركة ، وهمس له فى أذنه قائلاً : انتظر هنا . . لا تتحرك . . سأتركك الآن . . ! . .

وصل «فرعون» وأخذ يتلفّت حوله ، فلم ير شيئاً غير

الخيمتين الخاليتين والحمارة التي كانت تنهق في وجوههم !

تعجّب «فرعون» لذلك . ونظر إلى أعوانه . وقال : ما هذا يا «كروان» ؟ أفهم أن هذه حمارته التي وصل بها . . ولكن ماذا يفعل هذا الولد بخيمتين ؟ ! . .

كروان : هذا يعني أننا في خطر ! يبدو أنهم أكثر من واحد !

فرعون : أين يختبئ هؤلاء الأشقياء ؟ أيكونون داخل هذا الجُحر ؟ . .

قال هذا وهو يشير إلى المدخل الضيّق . ثم أخرج صفارته ونفخ فيها . فإذا بالكلاب تجلس على الأرض وهي صاغرة !

صاح «**فرعون**» : مازالت أمامكما فرصة للنجاة ! أخرجا وإلاّ أطلقت عليكما الكلاب !

قال «**ممدوح**» : هذا الشرير «فرعون» لن يتورّع عن أي فعل ! هل تظن يا «عامر» أنه سيطلق علينا هذه الكلاب ؟

عامر : سيحاول طبعاً . .

عالية : ولكنها لن تطيعه ! فهي تعلم أننا هنا !

ولما لم يخرجا . قال «**فرعون**» : سأعطيكما فرصة أخرى ! . . وكلابي العشرة مستعدة ! . . وأنا أحذركما من أنيابها الحادّة ! . .

كان المغامرون يتشاورون فيما بينهم . واستقر رأيهم على أنه لابدّ من عمل شيء حازم وسريع !

فخرج «عامر» ووقف على المدخل . فوجد الكلاب وهي تجلس على الأرض . تنظر إلى المدخل كأنها في انتظار إشارة من مدرّبها للهجوم . .

صوّب «فرعون» مسدسه نحو «عامر» وقال : سلّم نفسك ! لا جدوى من المقاومة ! أين «مسعود» ؟

لم يجبه «عامر» . بل رفع ذراعيه إلى أعلى علامة التسليم . ثم نظر إلى «ركس» نظرة ذات معنى ! . .

وإذا بركس» يقف فجأة . ويسير نحوه . ويهمّ على ساقيه الخلفيتين . ويضع قدميه على كتفي «عامر» ويلعق وجهه ! !

وكانت هذه إشارة لباقى الكلاب كى تحذو حذوه !

صُعق «فرعون» لهذا المنظر العجيب ! ماذا تفعل هذه الكلاب اللعينة ؟ إنها لم تعص له أمراً فى حياتها من قبل ! ماذا حدث لها .. وغيّر من طبيعتها وغريزتها ! ! ..

كان «ركس» يقف بين «عامر» و«فرعون» يحجبه عنه .

فاطمأن «عامر» إلى أن «فرعون» لن يطلق عليه الرصاص ، خوفاً من إصابة كلبه الثمين ! وأخذ يهمس فى أذن «ركس» ويقول له فى رقة وعذوبة متناهية : نحن أصدقاؤك يا «ركس» .. ونحبّك .. «فرعون» يريد بنا شرًّا ! ! ..

لم يفهم «ركس» كلمة واحدة بطبيعة الحال ! ولكن الكلب كان يشعر بنغمة صوته العذبة الحنونة ! إنه لم يسمع من قبل أعذب منها ! إنه لم يلق من «فرعون» إلا القسوة والعنف والإرهاب ! ..

كان «ممدوح» يراقب «عامر» من الداخل وهو مأخوذ ! ويتمتم لنفسه قائلاً : ما الذى يجعل مثل هذه المخلوقات

تصادقه وتحبّه ؟ إنها نعمة من عند الله ! ..

أنزل «عامر» ذراعيه ، وأخذ يداعب الكلاب التى تزاحمت حوله . إنه لم يعد الآن يخاف هذا الشرّير . فهو يعلم أنه لو أطلق عليه الرصاص ، لانقلبت عليه الكلاب ونهشته ! إنه يدرك أنها خرجت عن طوعه !

أفاق «فرعون» من صدمته ، وصرخ فى كلابه : عليكم به .. هاتوه لى حيًّا أو ميتًا ! ! ..

نظر «ركس» إلى سيده وهو مازال يتردّد . ولكن «عامر» همس له فى أذنه الطويلة : تعال معى ! اتبعنى ! باقى الأصدقاء فى الداخل !

تبعه «ركس» فى هدوء ، وتسرّبت باقى الكلاب وراءه إلى الحجرة الصغيرة ، حتى ضاقت بهم ، ولم يصبح فيها موضع لقدم !

وما إن رأى المغامرون الكلاب وسطهم ، حتى أخذوا يتصايحون فى بهجة وسرور .

وكانت «عالية» تحتضن أحدها ، وهى تقول له : كنت

متأكدة أنكم لن تخذلونا !

واحتضن «عامر» خاله «ممدوح» حتى تأنس الكلاب إليه ، كما أنست إلى «مسعود» من قبل ! . .

قال «**ممدوح**» فى دهشة : حقًّا إنك أعجوبة يا «عامر» . هذا كأنه السحر بعينه ! . .

أمّا «فرعون» فكان لا يزال يصرخ فى الخارج على كلابه قائلاً : سأطلق الرصاص عليكم جميعاً إن عصيتم أوامرى !

ولكن الكلاب لم تأبه لصراخه . لقد تقبّلت «عامر» صديقاً وسيّداً لها ، بدلاً من «فرعون» الفظّ الغليظ القلب !

إنها كانت تخاف «فرعون» وترهبه ! ولكنها أحبّت المغامرين الصغار !

نظر «ممدوح» إلى «عامر» نظرة الشك ، وسأله : هل فى إمكانك أن تأمر الكلاب لتهاجم «فرعون» ورجاله ؟

أجاب «**عامر**» : نعم . . وسوف نذيقهم من نفس الكأس !

وقبل أن يتنبّه «فرعون» وعصابته إلى ما يحدث ، إذا بهم

يفاجئون بالكلاب وهى تخرج عليهم كالوحوش الكاسرة . وتحيط بهم فى حلقة محكمة لا فرار منها !

جنّ جنون «فرعون» وفقد صوابه ، بعد أن عصته كلابه التى قضى حياته فى تدريبها . فصوّب مسدسه نحو «ركس» يريد قتله ! ! . .

لكن حدثت مفاجأة أذهلت رجال العصابة ، وجعلتهم يرفعون أيديهم عالياً فى طلب الاستسلام !

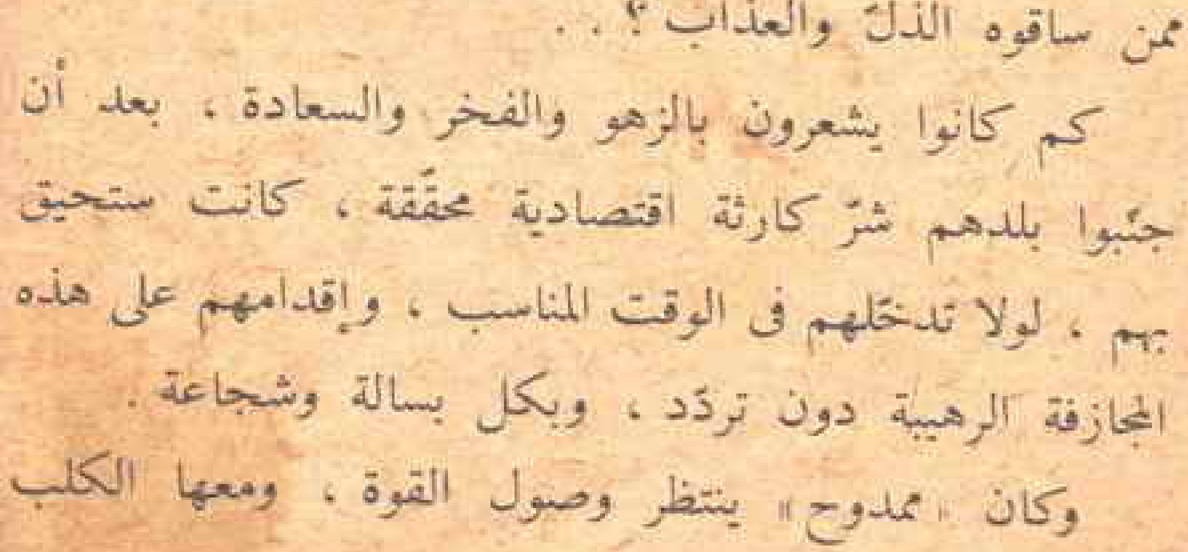
كانت الحمارة تقف وراء «فرعون» تنظر إليه فى بلادة . وما إن رأت حركته المفاجئة عندما رفع مسدسه ، حتى جفلت ، ورفسته بحوافرها الخلفية رفسة أطاحت به فى الهواء . فخرّ على الأرض الصخرية مغشيًا عليه ، والدماء تنزف منه بغزارة !

خرج المغامرون من مخبئهم ، يتقدمهم «ممدوح» شاهراً مسدسه ، حيث استسلم إليه رجال العصابة . ثم تولّى «مسعود» تقييدهم بالحبال . وسط تهليل المغامرين وفرحهم ، ونباح «ركس» وزملائه ، ونهيق الحمارة المزعج العالى !

الهدية الثمينة !


عالية

جلس «ممدوح» مع المغامرين يحتفون بنصرهم المبين على «فرعون» ورجاله . وكان أكثرهم سعادة هو «مسعود» الذى كان ينظر إلى هؤلاء المغامرين الصغار بعين التقدير والإعزاز . ألم يأخذوا بثأره ممن ساقوه الذلّ والعذاب ؟ . .



كم كانوا يشعرون بالزهو والفخر والسعادة ، بعد أن جنّبوا بلدهم شرّ كارثة اقتصادية محقّقة ، كانت ستحيق بهم ، لولا تدخّلهم فى الوقت المناسب ، وإقدامهم على هذه المجازفة الرهيبة دون تردّد ، وبكل بسالة وشجاعة .

وكان «ممدوح» ينتظر وصول القوة ، ومعها الكلب

البوليسى «عنتر» ، من وقت إلى آخر .

لقد سهلت مهمة هذه القوّة بعد القبض على «فرعون» وعصابته . فليس أمامها الآن إلاّ أن يقودها الكلب البوليسى «عنتر» و «فرعون» إلى الوكر الخفى الذى كانوا يقومون فيه بعملهم الإجرامى . ثم تصطحب معها أفراد العصابة فى عودتها إلى مدينة السويس . حيث سيلقون جزاءهم الرادع العادل .

أما المغامرون فقد كانت تنتظرهم مفاجأة سارة ! هكذا أخبرهم خالهم . . .

قالت **«عالية»** : أنا أعرف هذه المفاجأة ! . . سنركب «الهيليكوبتر» ! . .

ممدوح : لن أكشف لكم عن هذه المفاجأة ! . . ستعرفونها فى حينها . .

* * *

بعد أن أتمت القوّة مهمتها الدقيقة بنجاح ، أقلعت بها الطائرة ، ومعها «فرعون» ورجاله إلى مدينة السويس .

وجلس المغامرون فى انتظار المفاجأة ! ! . .

وما كادت الطائرة تختفى فى الأفق البعيد ، حتى ظهر ما لم يكن لهم فى الحسبان ! . .

فقد لاح لهم «عجلان» عن بُعد ، وهو يسوق قافلة حميره . وتعرّف كل مغامر على حماره . .

ولما وصل «عجلان» أمامهم ، وقف وهو يطأطئ رأسه خجلاً ! منتحلاً لهم المعاذير والحجج الواهية لتركه إياهم وحيدين فى الجبل !

قال «**عامر**» لا تحزن يا «عجلان» لقد عذرناك . . وسامحناك . .

ثم أشار إلى الكلاب ، وقال : إياك والهرب منا مرة أخرى ! . . **فهذه** هى الذئاب التى رأيتها ! . .

وأشارت «**عالية**» إلى «مسعود» وقالت : وهذا هو العفريت الأسود الذى فاجأك فوق الشجرة ! . .

ثم أخذوا يضحكون على سذاجة «عجلان» ، وهو يقف أمامهم يذوب خجلاً ! . .

قال «**ممدوح**» : جاءنى «عجلان» فى مقر عملى بالسويس يطلب النجدة . وقال إنه ضلّ بكم الطريق . . وترككم فى مكان مجهول غير مأمون . . مأهول بالأشباح والعفاريت ! . . فرأى سلاح الحدود أن يرسل على الفور طائرة «هيليكوبتر» للبحث عنكم وإسعافكم ونجدتكم . وخصوصاً وأننا كنا نراقب نشاط عصابة «فرعون» ، وخفنا أن تقعوا بين أيديهم ! . . .

عالية : ولكنهم هم الذين وقعوا بين أيدينا !

ممدوح : هذا صحيح . . وقد كلّفت «عجلان» بأن يعود إلى حيث ترككم . . وأن يأتى معه بالحمير ! . .

عامر : ولماذا ؟ . . كنا نفضّل أن نعود بالهيليكوبتر بدلاً من الحمير . . !

ممدوح : لأننا لن نرجع إلى السويس اليوم !

عارف : هل سنقضى ليلتنا هنا ؟

ممدوح : لا . . بل فى وادى الفراشات ! ! وهذه هى مفاجآتى لكم ! . .

لم يكن وادى الفراشات يبعد عن موقعهم بأكثر من نصف ساعة على ظهور الحمير.

شرح لهم «ممدوح» ما حدث من تصرّف «عجلان» الأهوج ، فقال إنه أخطأ التقدير بسبب الضباب الكثيف الذى خيّم على الوادى . فعرج يميناً فى مفترق للطرق ، بدلاً من أن يأخذ الطريق الأيسر الصحيح المؤدى إلى وادى الفراشات ! . .

عالية : حسناً فَعَلْ ! هذا لحسن حظّنا . . وإلاّ لما قبضنا على العصابة ! . .

عامر : صدقت يا «عالية» . . . إذ ربّ ضارة نافعة ! . .

سارت القافلة العجيبة يتقدّمها «عجلان» ، وهو يسحب وراءه حماره محملاً بما لذّ وطاب ممّا جهزّته لهم «أم عجلان» .

وكانت الكلاب العشرة تسير على جانبى الركب ، تحميه كالدّرع الواقية المنيعة ، فقد رأى المغامرون ألاّ يتخلّوا عنها ،

فهى ثروة ثمينة ، سوف يهدونها إلى سلاح الحدود لاستعمالها فى تعقّب المهربين !

توقّف «عجلان» عند منحنى فى الجبل يطلّ على وادٍ قريب ، وقال : هذا هو وادى «أبو دقيق» ! . .

نظر المغامرون إلى حيث أشار «عجلان» . فشاهدوا ما يشبه السجّادة الثمينة المزركشة بأبهى النقوش والألوان الزاهية . وكانت مساحتها فى حجم ملعب لكرة القدم . .

تملكّتهم الدهشة والعجب لهذا المنظر الفريد الخلاّب . لا غرابة إذن فى أن تغشاه الفراشات الكثيرة . . حتى كان الرائى لا يفرّق بينها وبين زهوره البرّية الزاهية . وما إن هبطوا إلى الوادى ونصبوا خيامهم ، حتى تفرّقوا بسرعة البرق يجوبون أنحاءه بين الزهور والفراشات ! فلا وقت أمامهم يضيّعونه . إذا كان عليهم أن يرحلوا عن هذه الجنة فى اليوم التالى .

وانهمك «عامر» بصفة خاصة» فى اصطياد بعض فصائل الفراشات النادرة ، لتذكّرهم دائماً بهذه المغامرة العجيبة !

وفى الصباح الباكر . كان المغامرون يعتلون ظهور الحمير فى طريقهم إلى السويس وهم ينظرون ساهمين إلى الوادى الجميل .

قال «**عامر**» وإمارات الحسرة تعلو وجهه : صحيح إن دخول الجنة أصعب من الخروج منها ! ! . . .

فأجابته «**عالية**» سندخلها مرّة ثانية . . مادمنا نعرف الطريق إليها ! . . ولكن للنزهة والترفيه فقط .

قال «**سمارة**» ضاحكاً : لا تحلو النزهة إلا بالمغامرات والألغاز . .



عامر عالية عارف مرجان

لغز الكلاب العشرة

ذهب المغامرون الثلاثة : «عامر» و«عارف» و«عالية» .. ومعهم الصديق الوفي «سمارة» ، والكلب الذكي «روميل» لقضاء أجازة ممتعة في مخيم أقاموه في جبل «عتاقة» قرب مدينة السويس .

وفي رحلة إلى «وادي الفراشات» الجميل ، ضلّ الدليل الطريق بهم في متاهات هذا الجبل الموحش !

ومن هنا تبدأ مغامرتهم الرهيبة التي لا يكاد يصدقها عقل ! ما هو سر الجبل الأجوف الذي يتنفس الدخان الملون ؟ وما سر الأصوات التي تصدر من جوفه ؟ والشبح الأسود ؟ والكلاب العشرة المدربة ؟ وعصابة «... نون» الخطيرة ؟

هذا ما سوف ... بنفسك في هذا اللغز ! ..

دار المعارف